التوظيف الإسلامي للرواية
(مهما غلا الثمن لعبد الله العريني أنموذجاً)

د . علي بن محمد الحمود
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي
كلية اللغة العربية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

التوظيف الإسلامي للرواية
(مهما غلا الثمن لعبد الله العريني أنموذجاً)

د . علي بن محمد الحمود
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي
كلية اللغة العربية– جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

عملت هذه الدراسة على أن تضع بين يدي القارئ أنموذجاً عملياً لتوظيف الفن الروائي في نشر القيم والمعتقدات الإسلامية. ووقفت عند الإمكانات الفذة التي تمتلكها الرواية في حمل المضامين وإيصال الرسائل. وكانت رواية (مهما غلا الثمن) هي ذلك الأنموذج، إذ سعت إلى توظيف عناصرها الموضوعية والفنية في نشر المعتقدات الإسلامية الأصيلة، وفي تقديم صور مختلفة للأسرة المسلمة وللمرأة المسلمة عمّا شاع في كثير من نماذج الرواية العربية الحديثة.

وحرصت الرواية على تقديم المضامين السامية الهادفة مع محافظتها على المستوى الفني المطلوب في الفن الروائي. ويحسب لها ابتعادها عن الاستعانة بأساليب التشويق المبتذلة الرخيصة الشائعة في كثير من الروايات الحديثة، فجاءت الرواية خاليه من تجسيد مواقف الجنس والرذيلة. وهذا يجعلنا نقدم هذه الرواية ومثيلاتها إلى القراء بكل اطمئنان، وبخاصة إذا علمنا أن فئة الشباب هم أكثر فئات المجتمع إقبالاً على قراءة هذا الفن.

وأكدت الدراسة أهمية الاستعانة بكل الوسائل الممكنة، ومنها الرواية، لنشر المعتقدات الإسلامية، ومحاربة الأفكار الفاسدة، ونقد جوانب القصور في المجتمعات الإسلامية.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد،وعلى آله وصحبه أجمعين،أما بعد:

فقد أضحى الفن القصصي بعامة، والفن الروائي بخاصة، من أكثر الأجناس الأدبية شيوعاً وانتشاراً، وأصبح وسيلة من الوسائل المهمة لنشر الأفكار والمعتقدات، نظراً للإمكانات الفذة التي يمتلكها.

ولنا في القرآن الكريم الأسوة الحسنة، إذ كانت القصة القرآنية وسيلة من وسائل القرآن الكريم المتعددة لتحقيق غاياته العقدية والتربوية.

والدراسة التي أقدمها تتجه إلى تقديم أنموذج للتوظيف الإسلامي للرواية في نشر القيم والمعتقدات الإسلامية، ويتمثل هذا النموذج في رواية (مهما غلا الثمن)[1]، وهي الرواية الثانية من سلسلة روايات الأدب الإسلامي التي شرع في إصدارها الدكتور (عبد الله بن صالح العريني)، وقد صدرت منها حتى وقت إعداد هذه الدراسة أربع روايات، وتمت إعادة طباعة الروايتين الأوليين ثلاث طبعات، وذلك في غضون خمس سنوات تقريباً[2]، وفي هذا دلالة واضحة على وجود قرّاء واعين ينشدون الأعمال الروائية ذات المضامين الهادفة.

لقد استفادت رواية (مهما غلا الثمن) من إمكانات الفن الروائي في تقديم رواية إسلامية هادفة، وظفت عناصرها في تقديم صورة حقيقية للمجتمع الإسلامي الأصيل، مع حرصها على المحافظة على متطلبات الفن. وساعد على ذلك كون صاحب الرواية قد تعايش مع الفن الروائي: نقداً وإبداعاً،إذ درس في مرحلة الماجستير(الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية)[3]. وقد أسهمت هذه الدراسة في وقوفه عن كثب على إمكانات الفن القصصي بعامة والرواية بخاصة، وقدرته على حمل المضامين وإيصال الرسائل. وبوصفه أستاذاً للنقد الأدبي ومنهج الأدب الإسلامي، في كلية اللغة العربية.

---

(١) دار إشبيليا – الرياض، ط ١، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م).

(٢) صدرت الطبعات الثلاث للروايتين بين عامي (١٤٢٠– ١٤٢٤هـ).

(٣) نوقشت الرسالة في (٢٣ / ١ / ١٤٠٧هـ). وقد صدرت طبعتها الأولى في كتاب عام ١٤٠٩هـ من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة.

تشكلت لديه رؤية واضحة حول أهمية هذا الفن وقدرته على حمل الرسائل وإيصال المضامين، وخبر الجوانب الفنية التي تُراعى عند كتابة الرواية، فاتجه إلى خوض غمار هذا الفن، فأصدر أربع روايات إسلامية هادفة. ومن خلال الإهداء الذي نطالعه في روايته الأولى (دفء الليالي الشاتية)، تتضح رؤيته وغايته من الاتجاه إلى كتابة الرواية الإسلامية، حيث قال: " إلى الذين يفضلون أن يضيئوا شمعة بدلاً من سبّ الظلام "[1].

أراد الكاتب أن يقدم البديل الإسلامي للقارئ المسلم الواعي الذي سئم مما تحمله كثير من الروايات العربية من مضامين فاسدة، وفكر منحرف، وتزيين للشر والرذيلة والفساد!

وجاءت روايته الثانية (مهما غلا الثمن) معبرة عن تطور تجربته الروائية، فرأيت أن أقدمها في هذه الدراسة بوصفها أنموذجًا للتوظيف الإسلامي للرواية في نشر القيم الإسلامية الأصيلة، وتقديم صورة حقيقية عن واقع مجتمعنا المسلم المحافظ الذي غُيبت صورته فيما نراه ونطالعه في كثير من رواياتنا الحديثة.

واقتضت طبيعة الموضوع أن تكون الدراسة في مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة. تحدثت في التمهيد عن توظيف الرواية في نشر المعتقدات والأفكار، وفي المباحث السبعة تحدثت عن توظيف المضمون في رواية مهما غلا الثمن، وتوظيف الشخصيات، وتوظيف الأحداث الثانوية، وصورة الأسرة المسلمة، وتوظيف الحوار، والحبكة الفنية وخصوصية الرواية الإسلامية، والانطباع العام.

وختمت الدراسة بخاتمة أشرت فيها إلى أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة.

وبعد، فأرجو أن تسهم هذه الدراسة في الكشف عن إمكانية توظيف الفن الروائي في نشر القيم والمعتقدات الإسلامية الصحيحة، وأن يتم تفعيل دور الرواية الإسلامية بوصفها وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) دفء الليالي الشاتية: صفحة الإهداء، دار إشبيليا – الرياض، ط١ (١٤٢٠هـ).

تمهيد: توظيف الرواية في نشر المعتقدات والأفكار:

إن المتابع للساحة الأدبية المحلية والعربية يجد أن الفن القصصي بعامة، والروائي بخاصة، من أكثر الفنون الأدبية شيوعاً وانتشاراً لدى جمهور القراء. وهنا تكمن الخطورة؛ فالفن الروائي لا يساق لمجرد التسلية والترفيه وتزجية الوقت، بل أصبح " وسيلة يلجأ إليها كل من أراد أن ينشر رسالته السياسية أو الدينية أو الاجتماعية، لأنهم يعلمون أنها أقرب الفنون الأدبية إلى قلوب القراء "[1].

يضاف إلى ذلك الاهتمام الواسع الذي ناله الفن الروائي من النقد الأدبي الحديث، من خلال الكتب المتخصصة، والرسائل الجامعية، والدوريات العلمية المتخصصة، والمجلات المتنوعة، والصحف اليومية عبر ملاحقها الأدبية والثقافية، والأندية الأدبية، والمنتديات الثقافية المتنوعة.

وهذا الاهتمام مرده الشعور بأهمية الفن الروائي، وانتشاره على نطاق واسع لدى المتلقين، وقد كان هذا الاهتمام ردة فعل منطقية، لمكانة الفن الروائي بين الأجناس الأدبية، فشاعت بين النقاد والأدباء عبارة (عصر الرواية)، تعبيراً عن كونها الجنس الأدبي الأكثر شيوعاً واستقطاباً للمتلقين في هذا العصر، وهذا لا يقلل على الإطلاق من أهمية الفنون الأدبية الأخرى، كالشعر والقصة القصيرة، إذ لكل جنس أدبي قراء ومتابعون، وشيوع جنس أدبي في مرحلة ما، لا يقلل من أهمية الأجناس الأدبية الأخرى.

كما تكمن أهمية الرواية في أنها من أكثر الأجناس الأدبية التصاقاً بالمجتمع، فهي بمثابة الشاهد الحيّ على الأشخاص والأفكار ومظاهر المجتمع المختلفة، ومضمونها " يتصل بالظواهر الاجتماعية بشكل يفوق الأنواع الأدبية والفنية الأخرى إلى حدٍّ كبير، من حيث إنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بفترة أو مرحلة معينة من تاريخ المجتمع أو تطوره ... "[2].

وهنا تكمن خطورة الرواية، وأهميتها في الوقت ذاته! وقد أدرك الأدباء والكتاب في بداية القرن العشرين قدرتها على إيصال المعتقدات الدينية، والآراء السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية، من خلال تمكنها من التغلغل في أعماق النفس البشرية،

---

(١) الجنس والواقعية في القصة: فتحي الأبياري: ١٨، الدار القومية – مصر، (د – ت).

(٢) دراسات في علم اجتماع الأدب: د. أمل حركة: ١٠٧ – ١٠٨، دار المعرفة – الإسكندرية، (١٩٩٣م).

فاتجهوا إليها (ملتزمين وملزمين)، فكانت من أنجع الوسائل وأقدرها على حمل تلك المعتقدات والأفكار وإيصالها إلى المتلقين.

وهنا أشير إلى أن الالتزام يكون نابعاً من ذات الأديب، أما الإلزام فنتيجة لعوامل خارجية، توجه الأديب إلى المضامين والأفكار التي يصورها في أدبه، وتكون بمثابة الوصي عليه [1].

وتجدر الإشارة هنا إلى " أن الفلسفات المؤثرة اليوم لم تستطع حشد الجماهير حولها إلا من خلال القنوات الأدبية أساساً، وحتى التحركات السياسية لم تنهض إلا على دعائم فن جماهيري، يشكل وجدان الناس وأفكارهم وأذواقهم، وهذا ما حدث بالنسبة للماركسية والوجودية والوضعية وغيرها . . . " [2].

وفي هذا السياق سأتناول بإيجاز توظيف الرواية في نشر المعتقدات والقيم والأفكار عند اليهود والنصارى، وعند أصحاب بعض المذاهب الأدبية، وسأختم حديثي بالوقوف عند التوظيف الإسلامي للرواية.

- التوظيف اليهودي للرواية:

كان الأدب من ضمن الوسائل التي اعتمدها اليهود في قيام دولة يهودية على أرض فلسطين، ففي مطلع القرن العشرين الميلادي كان الأدب اليهودي أدباً موجهاً لتحقيق تلك الغايات، " وقد سبق الحركةَ الصهيونية السياسية الصهيونيةُ الأدبية بهذا الاتجاه " [3].

وقام أحد الكتاب الصهاينة (ثيودرو هرتزل) بتأليف رواية سماها(الأرض الجديدة القديمة)، وقد صرح بأن هدف روايته " لم يكن فنياً، ولكنه كان هدفاً دعائياً " [4].

وظف اليهود الرواية في نشر أكاذيبهم، وطمس الحقائق التاريخية الثابتة، وفي تعبئة اليهود في كل أنحاء العالم لاغتصاب أرض فلسطين، بوصفها أرضاً للميعاد، كما يزعمون كذباً وزوراً !!

---

(١) للتوسع في قضية الفرق بين الإلزام والالتزام، ينظر: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد: د. عبد الرحمن رأفت الباشا: ١٣٠–١٤١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

(٢) آفاق الأدب الإسلامي: د. نجيب الكيلاني: ٢٤، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط ١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).

(٣) الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث والواقع: جودت السعد: ١٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ط ١ (١٩٨١م).

(٤) في الأدب الصهيوني: غسان كنفاني: ٨٢، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ط ٢ (١٩٧٨م).

- **التوظيف النصراني للرواية:**

وظف النصارى الأدب في الدعوة إلى اعتناق النصرانية والتنفير من الإسلام وغيره من الديانات. وقد أثرت الرواية النصرانية في أدبنا الحديث، حيث " استطاع الكتّاب النصارى أن يزرعوا السلوك المنحرف ببراعة، وأن يشوهوا صورة الأسرة المسلمة والشخصية المسلمة بتتبع النماذج المنحرفة واختلاقها في أحيان كثيرة وإشاعتها، أو تقديمها على أنها صورة للواقع ! ... فضلاً عن قصص (جرجي زيدان)(١٨٦١ – ١٩١٤م) التاريخية التي أساءت إلى تاريخنا وأعلامه " [١].

ومن صور التوظيف النصراني للرواية ما نجده ماثلاً في أدبنا العربي الحديث من تشويه صريح لصورة الشخصية الدينية، نتيجة لتقليد بعض كتاب أوربا المتمردين على الكنيسة، فصوروا " (رجل الدين) تصويراً مزرياً وجعلوا منه صورة للانحراف والنفاق والاستغلال، ونحن بدورنا في الأدب العربي المعاصر نقلنا عنهم هذا التصوير الغريب، برغم اختلاف الظروف التاريخية والفكرية التي سادت أوربا إبان الثورة الفرنسية، والتي لم يكن لها شبيه أو مبرر في بلادنا الإسلامية ... " [٢].

- **توظيف الواقعية الاشتراكية للرواية:**

أدرك الشيوعيون منذ نشأة دولتهم في الاتحاد السوفييتي " أثر الفنون بعامة، والأدب بخاصة في بناء المجتمعات، وتكوين العقول، وصياغة الوجدانات، ووعوا أثرها في دعم الأنظمة والمذاهب حتى قال (ستالين) [٣]: الفنانون والأدباء مهندسو البشرية " [٤]

والشيوعيون قاموا بإلزام أدبائهم بالتعبير عن أفكارهم ومعتقداتهم، ومن خالف ذلك عدّوه عدواً للشيوعية، وخائناً لأمته، ومنحازاً إلى أعدائها، ومن التزم بنشر تلك القيم أصبح ذا حظوة كبرى عندهم. وبذلك كان الأدب الشيوعي بمثابة البوق الدعائي المروج لأفكارهم المنحرفة المادية في المجالات السياسة والاقتصادية والاجتماعية.

والواقعية الاشتراكية في حقيقتها تجسيد للرؤية " الماركسية للأدب، وتحمل

---

(١) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي: د. عبد الباسط بدر: ٩٦، دار المنارة – جدة، ط ١ (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

(٢) آفاق الأدب الإسلامي: ١١٦ – ١١٧.

(٣) هو جوزيف فساريونفتش ستالين (١٨٧٩ – ١٩٥٣). سياسي، ودكتاتور روسي، وزعيم شيوعي. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة: مج ١ / ٩٦٢ – ٩٦٣، دار نهضة لبنان – بيروت، (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

(٤) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد : ١٢٠.

مبادئ الفلسفة المادية الجدلية التي تقوم عليها الشيوعية، ويرى أنصارها أن الأدب مبني على النشاط الاقتصادي في نشأته ونموه وتطوره، وأنه يؤثر في المجتمع بقوته الخاصة، لذلك ينبغي توظيفه في خدمة المجتمع وفق المفهومات الماركسية "[1].

ونتيجة للغزو الفكري والبعثات وترجمة الأدب الروسي الشيوعي إلى اللغة العربية ظهر التأثر واضحاً بالأفكار المادية الماركسية في ميادين الاقتصاد والسياسة. واتخذوا الأدب وسيلة من وسائل نشر تلك الأفكار الهدامة. ونظراً لقدرة الفن الروائي على حمل المضامين المختلفة وظف طائفة من الأدباء الرواية في نشر المعتقدات الشيوعية، فشكلوا اتجاهاً روائياً واضحاً منذ منتصف القرن العشرين الميلادي، وبدت أعمالهم صورة من أعمال الروائيين السوفييت. ووجدت أعمالهم رواجاً لدى المتلقين: قراء ونقاداً، فكانت الواقعية الاشتراكية في الفن الروائي من أكثر الاتجاهات الروائية العربية شيوعاً وانتشاراً، وبدت أعمال كثير من كبار الروائيين لا تعدو أن تكون مجرد ترديد للأفكار الشيوعية المنحرفة في نظرتها إلى الأديان وجوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية [2].

وعملت روايات الواقعية الاشتراكية العربية على إذكاء الصراع الطبقي بين أبناء المجتمع الواحد، واهتمت بالطبقات الدنيا، وبخاصة طبقة الفلاحين والعمال، وحملت على الطبقات الأخرى (الثرية)، وأهملت الجانب الروحي في حياة الإنسان، واهتمت بالجوانب المادية. والأخطر من ذلك أنها حملت بقوة على الدين الإسلامي، وجعلته سبب تخلف الأمة، واتهمت الملتزمين بالقيم الإسلامية المحافظين على الشعائر – بالتخلف، ونعتتهم بالرجعية.

ومن تلك النماذج الروائية روايات الكاتب المصري (عبد الرحمن الشرقاوي) (١٩٢٠– ١٩٨٧م)، الذي حفلت رواياته بالأفكار الاشتراكية، وقد نعته أحد النقاد بأنه "

---

(١) مذاهب الأدب الغربي (رؤية إسلامية): د. عبد الباسط بدر: ٥٦ – ٥٧. شركة الشعاع – الكويت، (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ /).

(٢) ينظر على سبيل المثال أعمال: (عبد الرحمن الشرقاوي، الطاهر وطّار، عبد الحميد بن هدوقة، فارس زرزور، أديب نحوي، توفيق يوسف عواد، حنّا مينة، محمد أحمد عبد الوالي، وغيرهم).

وفق كل التوفيق في إذاعة عقيدته الديمقراطية الاشتراكية "[1]. وهذا التوفيق المزعوم هو في حقيقته توظيف سيئ ومنحرف للفن الروائي في نشر الأفكار الشيوعية المنحرفة التي تحارب الدين، وتنمي الصراعات الطبقية بين أبناء المجتمع الواحد.

وجاءت روايته (الفلاح)[2] ممثلة لذلك الفكر،فكانت في مجملها ترديداً للشعارات الاشتراكية التي أراد الكاتب أن يجعل المجتمع المسلم برمته، يعيش وفق النظرة الشيوعية إلى الدين والاقتصاد والسياسية والمجتمع ، ويبتعد عن الدين الإسلامي الكامل الذي رضيه الله تعالى لنا.

ومن أمثلة التوظيف الاشتراكي للرواية – أيضاً – ما نجده عند الكاتب الجزائري (عبد الحميد بن هدوقة) (١٩٢٥ – ١٩٩٦م). وذلك في روايتيه: (نهاية الأمس)[3]. و (بان الصبح)[4]. وقارئ هاتين الروايتين لن يجد صعوبة في الوصول إلى أن (الأمس) الذي جاء في عنوان الرواية الأولى هو القيم الإسلامية الأصيلة التي يرى الكاتب في روايته أنها انتهت، ولم تعد صالحة لهذا العصر. بينما (الصبح) في الرواية الثانية هو تلك الأفكار الاشتراكية التي ذاعت وانتشرت في المجتمع. والرواية تحدثت عن الصراع بين جيلين: جيل متمسك بالقيم الإسلامية، أو الرجعية كما يسمونها في الرواية ! وجيل آمن بالقيم الاشتراكية التقدمية.

- التوظيف الوجودي للرواية:

تشكلت الوجودية بوصفها مذهباً فلسفياً في الغرب، نتيجة لحيرة الإنسان الأوربي وضياعه وقلقه واضطرابه، وهي تقصر " وجود الإنسان على الحقيقة اليقينية الوحيدة التي

---

(١) دراسات نقدية في الأدب المعاصر: مصطفى السحرتي: ١٤١، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، (١٩٧٩م).

(٢) الفلاح: عبد الرحمن الشرقاوي. عالم الكتب – القاهرة، (د – ط)، (د – ت). صدرت الطبعة الأولى عام (١٩٦٨م).

(٣) نهاية الأمس: عبد الحميد بن هدوقة، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للطباعة والنشر – تونس، ط ٢ (١٩٨٧م).

(٤) بان الصبح: عبد الحميد بن هدوقة، دار الآداب – بيروت، ط ٣ (١٩٩١م). الطبعة الأولى صدرت عام (١٩٨٠م).

ينادي بها (ديكارت) [1]، وهي تقول: (أنا أفكر فإذاً أنا موجود)، وبذلك ينحصر الوجود اليقيني للإنسان في تفكيره الذاتي الذي لا يوجد شيء سابق له، أو خارج عليه.

وعلى هذا فإنه لا يوجد عند الإنسان إله يعبد، كما لا توجد عنده مُثُلٌ متوارثة، أو قيم أخلاقية لها صفة اليقين " [2].

وتنقسم الوجودية قسمين: وجودية نصرانية تستمد أصولها من التصور النصراني المحرف، ووجودية ملحدة ترفض وجود إله، والإسلام يرفض هذه الأفكار والمعتقدات، لأنها تخالف التصور الإسلامي للخالق تعالى والكون والإنسان [3].

وقد ظهرت الفلسفة الوجودية في القرن السابع عشر الميلادي، لكنّ الفيلسوف الفرنسي (سارتر) [4] " حمل لواء الفلسفة الوجودية الملحدة الكافرة، وأخرج أفكاره في مؤلفات وروايات ومسرحيات " [5].

وقد وظف الوجوديون الأدب في نشر أفكارهم المنحرفة القائمة على الدعوة إلى الحرية المطلقة، والثورة على القيم والتقاليد، فجاء أدبهم حافلاً بالأفكار التي تدعو إلى الإلحاد والخروج على القيم، والتمرد على المجتمع، " وقد استطاع الوجوديون بملكاتهم الأدبية والنقدية أن ينتجوا قصصاً ومسرحيات قوية في صياغتها ومشحونة بأفكارهم الوجودية، وكانت وسيلة ذكية لنشر فلسفتهم ومبادئهم، استطاعت أن تؤثر في آداب كثيرة، منها الأدب العربي المعاصر ... " [6].

ونتيجة لهذا التأثير نشأ في أدبنا العربي الحديث الاتجاه الوجودي في الأدب بعامة، وفي مجال الرواية ظهر بوضوح تأثر طائفة من الروائيين العرب بالفلسفات الوجودية، وما

---

(١) رينه ديكارت فيلسوف فرنسي، توفي سنة (١٦٥٠م).
ينظر: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد: ٧٥.

(٢) المرجع السابق: ٧٥.

(٣) ينظر: مذاهب الأدب الغربي: ٨٨ – ٩٣.

(٤) جان بول سارتر (١٩٠٥م – ١٩٨٠م)، فيلسوف وأديب فرنسي، اقترن اسمه بالفلسفة الوجودية.
ينظر: الموسوعة العربية الميسرة: مج ١ / ٩٤٢.

(٥) الأدب الإسلامي (إنسانيته وعالميته): د. عدنان النحوي: ١٩٦، دار النحوي – الرياض ط ١ (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

(٦) مذاهب الأدب الغربي: ٩١ – ٩٢.

أنتجته من روايات، وبذلك تشكل الاتجاه الوجودي في الرواية العربية الحديثة [1]. وقد جسّد رواده في رواياتهم فلسفات وأفكاراً بعيدة عن واقع أمتنا مستمدة من الفلسفات الوجودية. فبدت شخصيات رواياتهم مترددة متوترة ضائعة هائمة على وجوهها، منفصلة عن مجتمعاتها وجذورها، تعيش غربة نفسية، باحثة عن ذواتها الضائعة، تسيطر عليها سمة الخوف من الموت والحياة، ومن الماضي والحاضر والمستقبل، ومتمردة وناقمة على كل شيء [2].

وظف الوجوديون رواياتهم في نشر هذه الأمراض في المجتمعات العربية الإسلامية، فجاء أدبهم صورة لما أنتجته الفلسفة الوجودية الغربية المريضة، وجسدته في أدبها.

ومن نماذج التوظيف الوجودي للرواية العربية رواية (الخندق الغميق) [3] للكاتب اللبناني (سهيل إدريس) (١٩٢٢– ٢٠٠٨م) الذي قدّم في روايته صورة للإنسان الوجودي، تمثلت في بطل روايته (سامي) الشاب الذي التحق في البداية بالمعهد الديني، وارتدى الزي الخاص به (الجبة والعمة)، وأصبح يشعر بالثقل بعد أن ارتداه، قال الكاتب: " ... وحين أقبل (الترام)، همّ بالعدو خلفه ليدركه وهو سائر على عادته، غير أنه شعر بثقل الجبة على كتفيه، والعمة على رأسه، وذكر أن الرصانة تقتضيه ألا يقفز إلى (الترام) قفزاً، فتباطأ خطوه مرة أخرى.." [4].

ولكنه بعد أن ترك المعهد الديني،وخلع الزي الديني شعر بالخفة، " فهو يحس الآن بأن جسمه يسترد رويداً رويداً خفته وسرعة حركته، كما كان منذ سنوات، في عهد الحداثة الأولى. أليس صحيحاً، بعد كل حساب، أنه قد شاخ، طوال هذه المدة، وهو لم يبلغ العشرين بعد ؟... " [5].

---

(١) من الروائيين العرب الذين تأثروا بالفلسفة الوجودية في بعض أعمالهم: (سهيل إدريس، وليلى بعلبكي، وليلى عسران، ومطاع صفدي، وكوليت سهيل، وجبرا إبراهيم جبرا، وإسماعيل فهد إسماعيل، والطيب صالح، ونجيب محفوظ، وغيرهم).

(٢) ينظر: اتجاهات الرواية العربية المعاصرة: د. السعيد الورقي: ٢٦٩ – ٣٠٠. دار المعرفة الجامعية – مصر، (١٩٩٨م).

(٣) الخندق الغميق: سهيل إدريس، دار الآداب –بيروت، ط ٣ (١٩٧٧م).

(٤) المرجع السابق: ٢٩.

(٥) المرجع السابق: ١٠١.

أما أخته (هدى) فنزعت حجابها وتخلصت منه، بمساعدة منه، حيث قال لها مشجعاً: " إنك بحاجة إلى أن تنظري أمامك جلياً، وينبغي ألا تكون على عينيك غشاوة. وفهمتُ سريعاً ما كان يرمي إليه، فمددتُ يدي ونزعتُ عن رأسي ووجهي الحجاب، ثم سلمته إياه، وتناوله على مهل، وأخذ يطويه، ثم نظر إليّ مبتسماً، وقال: أتعرفين عمامتي ؟ إنه يذكرني بها ! " [1].

إنّ الحجاب والزي الديني في هذه الرواية لا يعدوان أن يكونا مجرد رمزين للقيم الإسلامية، وبنزعها تخلص (سامي) وأخته (هدى) منها ! وتخلصا – أيضاً – من سلطة الأب الذي كان يعمل إماماً، وكان حريصاً على تربية أبنائه تربية دينية،ولكنهما تمردا عليه، وانغمسا في حياة الضياع والتحرر، وابتعدا عن الالتزام بالقيم الدينية الأصيلة، وبذلك تعدّ هذه الرواية من الروايات العربية التي وظفت الفن الروائي في نشر الأفكار والفلسفات الوجودية المنحرفة، التي كان لها أثرها في مجتمعاتنا الإسلامية.

- التوظيف غير الأخلاقي للرواية:

لا يتصور وجود أدب لا يحمل رسالة أو مضموناً، حتى الأدب العبثي غير الأخلاقي يحمل رسالة ومضموناً يعمل على إيصالهما إلى المتلقين، ويتمثل ذلك المضمون في نشر الرذيلة والفحشاء في المجتمع، وقطع الصلة بين العبد وخالقه تعالى، والخروج على القيم الأصيلة التي يحملها المجتمع.

وفي مجال الرواية نجد – ومع الأسف – أن الرذيلة والشر هما السمة الغالبة على واقع روايتنا العربية الحديثة [2]، فقد وظفت كثير من رواياتنا العربية الحديثة طاقاتها الفنية وقدراتها في ترسيخ المفاهيم المتحررة المنحلة في نفوس القراء، من خلال التركيز على تقديم النماذج المنحرفة على أنها هي الأصل في النفس البشرية، وبذلك يظن القراء أن الانحراف والشر والرذيلة والخيانة والغدر والأمراض النفسية والعقد والهروب من الواقع والانغماس في الجنس والخمر والمخدرات هي الأمر الواقع في هذه الحياة، فتنطبع في نفوسهم تلك الصور، وتبدو غير مستغربة، وهنا تكمن الخطورة !

---

(١) المرجع السابق: ١٦٥.

(٢) ينظر: صورة الشخصية الإسلامية في الرواية العربية المعاصرة في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري: دراسة نقدية: علي الحمود، (رسالة ماجستير قُدمت إلى قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي في كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٧هـ).

ومن الروائيين العرب الذين مثّلت أعمالهم الروائية صورة للتوظيف غير الأخلاقي للفن الروائي،الكاتبة(غادة السمان)(١٩٤٢م –)، ومن أعمالها الروائية رواية (بيروت ٧٥) [١] التي جاءت حافلة بالمواقف الجنسية المحرمة والشاذة التي قدمتها الكاتبة على أنها أمور لا غبار عليها، والمقام لا يسمح بذكر نماذج منها؛ وقد أصدر أحد النقاد كتاباً عن الجنس في أدبها [٢].

أما في روايتنا المحلية فنجد أنه في الفترة الأخيرة ظهرت أعمال روائية اتسمت بالخروج عن المألوف في مجتمعنا المسلم المحافظ، فجاءت حافلة بالمواقف الجنسية التي تثير اشمئزاز القارئ الواعي، ووجدت رواجاً لدى فئة من القراء؛ لأنها تدغدغ مشاعر المراهقين، وتثير غرائزهم.

-التوظيف الإسلامي للرواية:

إن المطلع على واقع روايتنا العربية الحديثة سيجد أنّها غالباً متأثرة بالرواية الغربية من حيث المضمون والشكل، وما نطالعه من روايات هو في حقيقته لا يعدو أن يكون مجرد ترديد للنماذج الروائية الغربية، وبخاصة النماذج السيئة، أما الروايات الغربية العالمية التي عُنيت بحمل رسالة هادفة إلى المجتمع،وقدمتها بأسلوب فني جميل، فلم تُؤثر فيما قدموه من روايات [٣].

وبذلك تكون روايتنا قد فقدت هُويتها الثقافية، من خلال توظيفها في نشر القيم والفلسفات والمعتقدات الهدامة، والحمل على الدين، واتهام الملتزمين به بالتخلف والرجعية. فكانت بمثابة معول هدم في هذه الأمة، إذ واكبت الدور الذي قام به الغزو العسكري الغربي الذي تعرض له عالمنا الإسلامي وعضّدته، وبعد زوال الغزو العسكري المتمثل في الاستعمار العسكري، قامت الرواية بالإسهام في تحقيق أهدافه، وبذلك

---

(١) بيروت ٧٥: غادة السمان، منشورات غادة السمان، ط ٥، (١٩٨٧م).

(٢) الجنس في أدب غادة السمان: د. وفيق غريزي، دار الطليعة – بيروت، ط ٢ (٢٠٠٠م).

(٣) ينظر على سبيل المثال: رواية (الأم) (لمكسيم جوركي)، وقد أعجب (نجيب الكيلاني) بقدرة الكاتب على توظيف الرواية في خدمة فلسفته. ينظر: آفاق الأدب الإسلامي: ٢٣.

ومن هذه الروايات: رواية الشيخ والبحر لأرنست همنجواي، وكوخ العم توم لهاريت بيتشر ستاو، وغيرهما. للتوسع حول هاتين الروايتين، ينظر : تجربة الكتابة: س. ر. مارتين، ترجمة: تحرير السماوي، دار الكلمة – بيروت، ط ٢ (١٩٨٣م).

أصبح الأدب بعامة والرواية بخاصة، أداة من أدوات الغزو الفكري الذي تعرضت له أمتنا [1].

ومن هنا برزت الحاجة الملحة إلى قيام الأدب الإسلامي بواجبه حيال تلك الموجة الهابطة من الروايات، فانبرى طائفة من الأدباء المسلمين مستشعرين أهمية الفن الروائي في الوقوف أمام موجة الروايات الهابطة، فعملوا على تقديم البديل عن طريق تقديم روايات إسلامية هادفة، تجمع بين المتعة التي ينشدها القراء، والمضمون السامي الهادف، الذي يقدم التصور الصحيح للخالق والكون والإنسان، ويعبر بصدق عن المجتمعات الإسلامية، والإنسان المسلم.

لقد أضحت الرواية الإسلامية واقعاً ملموساً وحقيقة ماثلة للأعيان لا يمكن تجاهلها، وعلى الرغم ممّا تجده من تجاهل ورفض وتضييق، إلا أنها شكلت بتوفيق الله تعالى أولاً، ثم بجهود فردية من قبل مجموعة من الأدباء، اتجاهاً روائياً، من خلال تقديم ما يعرف بالرواية الإسلامية، ويأتي في مقدمتهم الدكتور (نجيب الكيلاني) (١٩٣١ – ١٩٩٥م)، و (علي أحمد باكثير) (١٩١٠ – ١٩٦٩م)، وغيرهما. وتبع ذلك الدور الذي قامت به رابطة الأدب الإسلامي العالمية من خلال ترسيخ ذلك المفهوم، وتشجيع الأدباء على الانطلاق في كتاباتهم الأدبية وفق التصور الصحيح للخالق والكون والإنسان، ونتيجة لهذا الاهتمام، وتتويجاً له أصبحت مادة الأدب الإسلامي تدرس في بعض الجامعات الإسلامية، وسجلت فيها رسائل علمية لدرجتي الماجستير والدكتوراه، وبذلك شكلت الرواية الإسلامية اتجاهاً روائياً واضح المعالم، ومحدد الأطر، له رواده.

وقد استفادت الرواية الإسلامية من إمكانات الرواية المتعددة [2]، فظهرت أعمال روائية حافلة بالقيم الإسلامية الأصيلة، ومعبرة عن المجتمع الإسلامي تعبيراً صادقاً [3]، مخالفاً للصورة التي نراها في الرواية العربية الحديثة، فلا يعقل أن نجد رواية لكاتب مسلم يعيش في مدينة فيها آلاف المساجد، ويتكرر فيها الأذان خمس مرات يومياً، ثم

---

(١) ينظر: صورة الشخصية الإسلامية في الرواية العربية المعاصرة في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري: دراسة نقدية: علي الحمود.

(٢) ينظر: الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية: د. عبد الله العريني: ٢٦٣، من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، ط ١، (١٤٠٩هـ).

(٣) ومن أولئك الكتاب (عبد الحميد جودة السحار، داود سليمان العبيدي، عبد الودود يوسف، عماد الدين خليل، عماد زكي، فوزي صالح، سعاد الولايتي، خولة القزويني، عبد الله سعيد جمعان الزهراني، وغيرهم).

تأتي روايته خالية من ذكر الإسلام، أو أثره في المجتمع !

وواكب ذلك ظهور حركة نقدية واعية اتجهت إلى دراسة الرواية الإسلامية دراسة علمية جادة، وقفت عند الجوانب المشرقة فيها، وبينت جوانب الضعف، بهدف تجاوزها في التجارب المقبلة.

إن مستقبل الرواية الإسلامية يبدو مشرقاً على الرغم من الصعوبات التي تعتريها، والتي يمكن تجاوزها من خلال الجهود المبذولة من قبل المخلصين، ووجود القارئ الواعي الذي يبحث عن الأدب الأصيل الهادف البعيد عن إثارة الغرائز. وهذا النوع من القراء موجود، ويبحث عن الرواية الجيدة، بدليل أن بعض روايات الدكتور (نجيب الكيلاني) تمت إعادة طباعتها أكثر من عشر مرات، على الرغم من التغافل الإعلامي الذي تلقاه مثل هذه الروايات الإسلامية، لمجرد أن عبارة رواية إسلامية قد وضعت على غلافها. وفي المقابل تجد الأعمال الروائية الأخرى احتفاء مبالغاً فيه، على الرغم من افتقاد كثير منها متطلبات الفن، بالإضافة إلى رداءة المضمون الذي تحمله وتقدمه !!

* * *

المبحث الأول: توظيف المضمون في رواية مهما غلا الثمن:

المضمون هو " محتوى أو معنى يؤديه المبنى أو الشكل، والمعبر عنه أدبياً بألفاظ وعبارات نثرًا أو شعرًا " [1] .

وجودة أي عمل أدبي ونجاحه ترجعان إلى الاهتمام بهذين العنصرين على حدٍّ سواء، فجودة المضامين وعمقها وصدقها وسموها – إذا لم تتوافر لها صياغة أدبية فنية تراعي قيم الفن – تظل عاجزة عن تقديم عمل أدبي ناجح ومكتمل ومؤثر. وفي المقابل تظل مهارة الأديب وقدرته الفنية عاجزة عن تقديم عمل أدبي يتسم بالجودة إذا كانت المضامين التي يتخذها مادة لأدبه تتسم بالتفاهة والسطحية. ومن هنا كان لابد لأي كاتب يأمل في تقديم عمل أدبي مكتمل أن يقدم المضمون السامي في أسلوب أدبي يراعي متطلبات الفن.

والمضمون في رواية (مهما غلا الثمن) يعبر عن وعي حقيقي بكنه الأشياء، ويحمل في طياته دعوة إلى تغيير الواقع، فالحياة الواقعية كما هي حافلة بالشر والرذيلة والنماذج البشرية المنحرفة السلبية فإنها – أيضاً – حافلة بالخير والفضيلة والنماذج البشرية السوية الإيجابية التي استطاعت أن تتجاوز الواقع المؤلم، فجذوة الأمل تطل علينا من خلال مضمون هذه الرواية. وقد وصف الدكتور (سعد أبو الرضا) المضمون في هذه الرواية قائلاً: بأنه قد تناول كثيراً " من قيم الإسلام ومبادئه:كالإيمان بالله والقضاء والقدر، والحث على كثير من العبادات في الإسلام: كالصلاة والحج وغيرهما، بل والدعوة إلى كثير من الأخلاق: كالصبر والأمانة والإخلاص في العمل، وغالباً ما يتحقق كل ذلك بصورة عملية تناقش قضايا المجتمع المسلم سواء في السعودية أو إندونيسيا، وبطريقة روائية غير مباشرة في معظم الأحيان . . . " [2].

وسأتحدث في هذا المقام عن بعض القيم الإسلامية الأصيلة التي جسدتها الرواية، وهي: الصبر، والإحسان، وقوة الإرادة، والأمانة، والكفاح، والرضا والقناعة، والحشمة.

---

(١) المعجم الأدبي: جبور عبد النور: ٢٥٢ – ٢٥٣، دار العالم للملايين – بيروت، ط ٢ (١٩٨٤م).

(٢) جريدة الجزيرة، الأربعاء ٥ من محرم ١٤٢٥هـ، العدد (١١٤٧٢)، مقال (تطور التجربة الفنية عند الدكتور عبد الله العريني في روايته مهما غلا الثمن): د. سعد أبو الرضا، ص ٤١.

١ – الصبر:

الصبر من أبرز القيم الإسلامية التي عُنيت رواية (مهما غلا الثمن) بتجسيدها، وقد كانت حاضرة – أيضاً – في عنوان الرواية. فكلمة (الثمن) الواردة في العنوان تعبر عن الصبر الذي يبذله الإنسان في هذه الحياة؛ للوصول إلى غاياته.

وعنوان رواية (مهما غلا الثمن) يتسم بالجاذبية، وتبدو العلاقة الوطيدة بين عنوان الرواية ومضمونها، فكانت كلمة الثمن محور الرواية ومفتاحها والمحرك للشخصيات والأحداث ونقطة التحول فيها، وشكلت " بدلالتها اللغوية بنية هذا العمل الروائي، كما تجلي عناصره الفنية، إذ تكشف بمحوريتها عن الحدث الذي يتمثل فيما يمكن أن يقدّمه الإنسان لتحقيق آماله وطموحاته، واقتران ذلك بالصبر " (١).

وكانت غالبية عناصر الرواية تتحرك وتنمو في ضوء مفهوم الثمن الذي يبذله الإنسان في هذه الحياة.

وبالنظر إلى الرواية نجد أن الثمن بالنسبة للشخصيات الخيرة تمثل في الصبر أو الكنز كما عبر عنه (الحاج مأمون) والد (أندي) عندما شبه (ثمرة الدريان) بالصبر في قوله: " إنه مثل كثيرين لا يكتشفون لذة هذه الثمرة إلاّ متأخراً، إنني أراها أشبه شيء بالمبدأ العظيم في حياتي: الصبر، ذلك الكنز الثمين الذي أكرمني الله به، وأظن أن الصبر لو تشكل في صورة فاكهة لكان (ثمر الدريان) بلا شك " (٢).

و (أندي)، بطل الرواية، حقق كثيراً من طموحاته مستعيناً بكنز والده المتمثل في الصبر، ففي بداية التحاقه بالعمل كاتباً في مستودعات السيد (غزالي) كان راتبه قليلاً، مع كثرة العمل، " إلا أنه لم يجد بداً من الصبر على هذه الوظيفة التي لم يذق فيها طعم الراحة؛ بسبب مضايقة مدير المستودعات له " (٣).

وعندما أراد الزواج لم يكن يملك منزلاً مناسباً، لكنه أخبر والدته بأنه رأى منزلاً صغيراً، وقال لها: " هذا كل ما يمكن الآن، إنه بيت صغير، ثم إن عندي كنز أبي سوف آخذ

---

(١) جريدة الجزيرة، الأربعاء ٥ من محرم ١٤٢٥هـ، العدد (١١٤٧٢)، مقال (تطور التجربة الفنية عند الدكتور عبد الله العريني في روايته مهما غلا الثمن)؛ د. سعد أبو الرضا، ص ٤١.

(٢) مهما غلا الثمن: ١٧٠.

(٣) المرجع السابق: ١٨.

منه بما يحلّ هذه المشكلة "[1]. وكنز أبيه الذي لا ينفد هو الصبر.

وبعد زواجه ضاقت به الحياة، فكان يقول لزوجه: "سأنفق من كنز أبي "[2]. وظنت زوجه أنّ والده يملك كنزاً، وأنه سيأخذ منه ما يخرجهما من أزمتهما.

وحقيقة ذلك الكنز تتمثل في أن والده كان قد اكتشفه في مسجد قريته، حيث ألقى عليهم شيخ جليل درساً مؤثراً عن قيمة الصبر، وبيّن لهم أثره في حياة رسول الله ﷺ. ومنذ ذلك الدرس عدّ والده الصبر كنزًا ثمينًا يستعين به على تجاوز الأزمات، وحث ابنه على الالتزام به، لأنه سيحتاج إليه في كل مراحل حياته[3].

استجاب (أندي) لنصيحة والده، فحقق نجاحات متوالية، مكنته من مساعدة والديه، وتوفير حياة كريمة لأسرته.

ولم تكتف الرواية بتجسيد قيمة الصبر في الحياة، بل عملت على توضيح مفهوم الصبر الحقيقي المتمثل في قوة التحمل، والبعد عن الخضوع والذلة والجزع والتأفف والضجر[4].

بالإضافة إلى تجسيد مضمون الرواية مفهوم الصبر الحقيقي، عملت على إبراز الثمرة الجميلة التي يجنيها من يصبر، فكان النجاح وتحقيق الغايات النبيلة جزاء الصابرين.

٢ – الإحسان:

أكد المضمون في الرواية أهمية فضيلة الإحسان إلى الآخرين، وبيّن أثرها في بناء مجتمع إسلامي متكافل، قوامه المحبة والتكامل، فالمال إذا وجه الوجهة الصحيحة يكون نعمة كبرى وفضلاً عظيماً في يد صاحبه.

وفي الرواية مواقف متتابعة شكلت في مجملها الرؤية الإسلامية الصحيحة في تسخير المال في خدمة الآخرين؛ لأن المال هبة من الله تعالى للإنسان. وقد أسهمت الشخصيات الثرية في الرواية في الوقوف مع بقية الشخصيات في أزماتها، فسادت الألفة والمحبة بينهم، وبدا المجتمع لُحمة واحدة، وذابت الفوارق الطبقية المصطنعة بين أبناء المجتمع الواحد.

---

(١) المرجع السابق: ١٥٠.

(٢) المرجع السابق: ١٦٥.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ١٧٥.

(٤) ينظر: المرجع السابق: ١٧٢ – ١٧٣.

وجاء تجسيد هذه القيمة من خلال شخصيتين من شخصيات الرواية، هما: السيد (غزالي)، والسيد (زين العارفين)، وقد كانا الملاذ الذي تلجأ إليه الشخصيات – بعد الله تعالى – بحثاً عن المساعدة. ومن نماذج ذلك استجابة السيد غزالي لطلب (إيبو فضيلة) بإخراج ابنها (أندي) من السجن، بعد اتهامه زوراً بحرق مستودعات الشركة [١]. ولم يكتف بذلك، بل أعطاها مساعدة مالية [٢]. وتحمل تكاليف علاج والد (أندي) في (جاكرتا) بكل طيبة نفس [٣].

وعندما دهس سائقه طفلاً، تم نقل الطفل إلى المستشفى، فلم يلق أي عناية، بسبب عدم وجود من يتحمل نفقات العلاج، وتم إيداع سائقه السجن، فقام بتحمل نفقات علاج الطفل، ومن ثم أخرج سائقه من السجن بكفالة [٤].

وبعد أن عرض عليه (أندي) وضع المصليات في الشركة، أمر بتوسيعها وفرشها، وزيادة عدد دورات المياه [٥].

أما السيد (زين العارفين)، وهو رجل ثري كانت تعمل لديه (إيبو فضيلة) مديرة للمنزل، فقام بتحمل تكاليف حج (إيبو فضيلة)، مكافأة لها على أخلاقها وأمانتها وجدِّها في عملها [٦].

وعندما علم بقصة الدين الذي على زوجها، ورغبتها في سداده، أصبح يرسل راتبها كاملاً إلى الدائن، ويأخذ منه الوصل ويدفعه لها، لكي يشجعها على التوفير [٧].

ولم يكتف المضمون في الرواية بتجسيد قيمة فضيلة الإحسان، بل عُني بإبراز الثمرة التي تعود على المحسنين، فقد وفق الله تعالى السيد (غزالي) في مشروع الإسكان توفيقاً فاق التوقع والوصف، إذ حقق له مكاسب كبيرة، وأسعد الفقراء، وانعكس ذلك عليه، وبدت على وجهه دلائل التفاؤل والانشراح [٨].

---

(١) ينظر: المرجع السابق: ١٣ – ١٦.
(٢) ينظر: المرجع السابق: ٣٥.
(٣) ينظر: المرجع السابق: ١٨٨.
(٤) ينظر: المرجع السابق: ١٣١ – ١٤١.
(٥) ينظر: المرجع السابق: ٣١ – ٣٢.
(٦) ينظر: المرجع السابق: ٢١٠.
(٧) ينظر: المرجع السابق: ٢٠١.
(٨) ينظر: المرجع السابق: ٢٠١ – ٢٠٥.

٣ – قوة الإرادة:

عمل مضمون الرواية على ترسيخ مفهوم قوة الإرادة في النفس البشرية، من خلال إبراز قدرة الإنسان على تجاوز المصاعب في هذه الحياة، إن تمتع بإرادة قوية، تدفعه إلى الإمام، وختم الكاتب روايته بالدعوة إلى أن يعمل الإنسان على تغيير الواقع، مهما غلا الثمن الذي يدفعه في سبيل ذلك، وأن يتحلى بالشجاعة التي تعينه على مواجهة المشكلات، وتجاوزها؛ لأنه يعيش مرة واحدة، وهذا ما أكده بطل الرواية (أندي) لزوجه (سارينا) في نهاية روايته، حيث قال: " إن من الضروري أن نواجه مشكلات الحياة، ونعمل على تغيير واقعنا إلى الأفضل؛ لأننا لن نحيا إلا مرة واحدة.. مرة واحدة فقط !! ويجب أن نفلح في هذه المرة الواحدة مهما غلا الثمن " [١].

وكان (أندي) قبل زواجه يميل إلى فتاة من قريته، اسمها (نور حياتي)، وكان يرغب في الزواج منها، ولكن سفرها إلى (الرياض) لتعمل خادمة عند إحدى الأسر، ورغبتها في أن يلحق بها ليعمل سائقاً، دفعاه إلى صرف النظر عن الزواج منها، وأصرّ على مواجهة الحياة في بلده [٢].

إن الحياة لا تتوقف بسبب فشل الإنسان في مشروع من مشاريع حياته، وهذه الفكرة جسّدتها الرواية بوضوح، فقارئ الرواية سيظن أن (أندي) سيتأثر بسبب فشل زواجه من الفتاة التي يميل إليها، أو يعيش حياته على أمل عودتها، أو سيصاب بالأرق، وربما بالجنون، كما يحدث في بعض القصص الرومانسية التي تؤثر تأثيراً سلبيا في نفوس القراء، ولكن ذلك كله لم يحدث؛ لأنه نظر إلى الموضوع نظرة منطقية واقعية أوصلته إلى أنه ليس من حقه أن يلومها، " فلتذهب بسلامة الله، فالأرض بدل منها أرض أخرى، والأحبة بدل منهم أحبة آخرون، وهنالك غيرها كثر، بل هناك من هي أفضل منها، وحين يجدها فسوف يبادر بالزواج منها " [٣].

وقرر بعد ذلك البحث عن امرأة أخرى تشاركه رحلته في الحياة، ووجد بغيته في (سارينا)، وقد عبّر عن ذلك بقوله لوالدته: " أنت تعرفيني جيدًا يا أمي، أنا لا أحب العيش

---

(١) المرجع السابق: ٢٣٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ١٤٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ١٤٤.

في الماضي..." [1].

اتسم (أندي) بقوة الإرادة والعزيمة والإصرار، فتمكن من التخلص من حب (نور حياتي)، وقرر البقاء في (إندونيسيا)، وترك فكرة السفر إلى (الرياض)، بعد أن وجد أنه من الصعوبة بمكان انتظار عودتها، وقرر أن يطوي تلك الصفحة من حياته، فقد اختارت هي الحياة التي تريدها، وعليه هو أن يبدأ حياته من جديد. وفي البداية كان حزيناً على فراقها، ولكنه أنزل ستاراً حديدياً على ذكراها، وأخبر والدته أن لن يستطيع البقاء دون زواج طوال فترة غيابها؛ لأنه لا يأمن على نفسه من الفتنة [2].

وهكذا تخلص من حبها، وتزوج (سارينا)، وهذا الموقف يظهر جانباً مهمًا من شخصيته يتمثل في العزيمة وقوة الإرادة والإصرار على تجاوز الماضي.

٤ – الأمانة:

الأمانة من القيم الإسلامية الأصيلة التي رسخها المضمون في الرواية، وقدّمها بوصفها قيمة أصيلة في النفس البشرية.

وقد برزت هذه القيمة في الرواية من خلال المواقف المختلفة التي تعرضت لها بعض الشخصيات السوية الخيرة، فكان تمسكها بهذه القيمة سبباً في نجاحها في حياتها العملية، ومن ذلك (إيبو فضيلة) التي كانت تدير شؤون منزل السيد (زين العارفين) بكل جد وإخلاص وتفانٍ، مما جعله يكافئها بالحج على حسابه، بسبب أمانتها وجدّها ونجاحها في إدارة شؤون منزله [3]. وذكرت ذلك لابنها من خلال قولها: " يا ولدي، انظر هذا البيت مليء بالأثاث الفاخر، وبين يدي يومياً آلاف الروبيات، والسيد (زين العارفين) منحني غاية الثقة، لم يراجعني إلا في الأيام الأولى لعملي. أما بعد ذلك فقد أعطاني الضوء الأخضر دائماً لأتصرف كما أشاء. الأخذ من مصروف المنزل في غاية السهولة، ومع ذلك لا أعلم أن يدي طاوعتني في يوم من الأيام على أخذ روبية واحدة من وجه الحرام. والله يا ولدي، إنني سعيدة جداً بمرتبي الذي أحصل عليه، ولن أفسده بمال حرام أبداً، إن الله تعالى لا يجعل بركة في المال الحرام مهما كان كثيراً " [4].

---

(١) المرجع السابق : ١٥١.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ١٤٦– ١٤٧.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ٢٠٤ – ٢١٠.

(٤) المرجع السابق : ٢٠٩ – ٢١٠.

أما (أندي) فكسب ثقة صاحب العمل من خلال أمانته، " بعد أن عرّضه لعدد من الامتحانات، فنجح فيها، أرسل إليه من يعطيه رشوة، فصفع ذلك الرجل، وطرده عن المكتب ... " [1]. وبعد تجاوزه تلك الامتحانات نال ثقة السيد (غزالي)، وأصبح موظفاً مهماً في مكتبه.

وكذلك تمكنت (نور حياتي) من ترسيخ قدميها في المنزل الذي تعمل فيه، وقبل ذلك تمكنت من كسب قلوب أفراد الأسرة التي عملت لديهم بكل أمانة وإخلاص، بعد تجاوزها بنجاح الاختبارين اللذين وضعتها فيهما ربة تلك الأسرة، وقالت لها بعد ذلك: " أنت أمينة (يا نور)، أنت أحسن شغالة، أنا قلت لـ (بابا عبد اللطيف): إنك أمينة نشيطة، من يوم رأيتك أول مرة، قال لي: لا تستعجلي ! أتذكرين الخمسمائة ريال التي وجدتها في ثوب (بابا عبد اللطيف) ؟ أنا التي وضعتها في الثوب ...

وجاء الامتحان الثاني، هذا السوار الذي وضعته متعمدة، وحينما تركتِ السوار مكانه، شعرت أنك نجحت أيضاً، أنت اليوم مثل بنت من بناتي " [2].

بالإضافة إلى تجسيد المضمون في الرواية قيمة الأمانة، عمل على إبراز الأثر الذي نتج عن تحلي الشخصيات الروائية بها، فكان النجاح وكسب ثقة الآخرين النتيجة المنطقية التي أكدها السياق الروائي.

٥ – الكفاح:

قدّم مضمون الرواية قيمة الكفاح من خلال أسرة (أندي) بطل الرواية الذي كافح وثابر، ليعيش حياة كريمة، حيث غادر قريته بحثاً عن عمل، وبالكاد وجد عملاً متواضعاً براتب ضئيل، وابتعد عن أسرته سنتين، قضاهما في (جاكرتا) [3]. وقد حقق بعد ذلك نجاحاً ملموساً، فتحول من مجرد موظف بسيط إلى موظف مهم في مكتب صاحب الشركة الذي قدّم له (شقة) من غرفتين، وأمر (بتشطيبها) وتأثيثها [4]. وتمكن من بناء أسرة صغيرة سعيدة، بعد كفاح متواصل.

---

(١) المرجع السابق: ١٥٤.

(٢) المرجع السابق: ٩٠.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ٥٦.

(٤) ينظر: المرجع السابق: ٢٢٢.

أما والدته (إيبو فضيلة) فكانت تعمل مديرة منزل في (جاكرتا) عند السيد (زين العارفين)، حيث غادرت قريتها واتجهت إلى (جاكرتا) لتعمل هناك، لتتمكن من تسديد دين زوجها، وتحافظ على المزرعة من الضياع [1].

وبعد كفاح وغربة دامت ثلاث سنوات تمكنت من تسديد الدين. وظهرت معاناتها في قولها لابنها: "هل تصدق ؟؟ لقد سددت القسط الأخير من دين والدك، لم أكن أصرف من راتبي روبية واحدة، وجدت أن بإمكاني أن أكل، وأشرب، وألبس مما يتوافر في هذا المنزل، وأرسل راتبي فوراً إلى التاجر الذي استدان منه والدك، وآخذ وصلاً على المبلغ. فعلت هذا ستة وثلاثين شهراً !! ... كان هدفي الوحيد هو أن أسدد دين والدك، منعت عن نفسي كل شيء غير ضروري، وصبرت طوال تلك السنوات، وكان الأمر صعباً، ثم أصبح عادياً ..." [2].

أما الحاج (مأمون) والد (أندي)، فكان يعمل بقدم واحدة في المطعم الصغير الذي أنشأته الأسرة، ولم يقف بتر قدمه عائقاً أمامه لمواصلة الكفاح في الحياة [3].

قدّمت الرواية صورة عملية لأسرة مسلمة مكافحة، عملت بكل جدٍّ على مواجهة الواقع، وفي ذلك ترسيخ لمبدأ الكفاح، والدعوة إلى التحلي به.

٦ - الرضا والقناعة:

من صفات المسلم الحق أن يكون راضياً قانعاً بما قسم الله تعالى له، وقد أكد مضمون الرواية هذه القيمة من خلال اتسام الشخصيات الخيرة بها، وقد تجسّدت هذه القيمة في شخصية الحاج (مأمون) الذي كان "يعود بعد يوم طويل من العمل، في نهاية النهار، وحين يصلي المغرب يأكل وجبة العشاء، يأكل ما تيسر، ثم يشرب الشاي بعد ذلك، يشعر بلذة كل لقمة يأكلها، دون حاجة إلى حبوب فتح الشهية، أو أدوية تخفيف الحموضة، وحين يفرغ من شرب الماء من كوز الماء الخاص، يقول: الحمد لله !!

تخرج هذه الكلمة من فمه كأعذب ما تكون !! وأحلى ما تكون !! وأرق ما تكون !! يحس أنها خرجت من أعماق قلبه، تعبر عن سعادة نفسية، وشكر عميق لله عز وجل" [4].

---

(١) ينظر: المرجع السابق: ٦.

(٢) المرجع السابق: ٢٠٠-٢٠١.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ١٨٨، ٢٣٢.

(٤) المرجع السابق: ٦٤.

وتجسدت هذه القيمة – أيضاً – من خلال السعادة الحقيقية المخيمة على حياة (أندي) وزوجه (سارينا) على الرغم من أنهما لا يجدان – أحياناً – قوت يومهما [1].

٧ – الحشمة:

حث الإسلام المرأة المسلمة على العفة والتستر، والتشريع الإسلامي أوجب على المرأة الحجاب الذي هو في حقيقته حماية لها مما يمكن أن يلحق بها من أذى من جراء التبرج وعرض المفاتن. " فما صنعه الإسلام ليس تقييداً لحرية المرأة، بل هو وقاية لها أن تسقط إلى درك المهانة، فتكون مسرحاً لأعين الناظرين " [2].

وقد أكدت الرواية أهمية اتسام المرأة المسلمة بالعفة، ومحافظتها على حجابها، من خلال حرص جل الشخصيات النسوية فيها على الحشمة، ومن ذلك وصف الكاتب زي (إيبو فضيلة) والدة (أندي)، حيث قال : " كانت ملابس السيدة العجوز نظيفة، وإن لم تكن جديدة، وكان يشمل الإزار الإندونيسي المفصل من قماش (الباتيك) التقليدي الجميل... كان اللباس يعمّ الجسم كله، لكنه بدا ضيقاً جدًا يعوق حركتها في السير، وكانت تضع شالاً على رأسها بلون أبيض شفاف تمامًا. لكن وضعه على أي حال يعطي انطباعًا باحتشام المرأة " [3].

يظهر الوصف السابق لزي (إيبو فضيلة) أن الفقر لا يعني أن يبدو الإنسان رث الثياب؛ فالدين الإسلامي يحث على النظافة والاهتمام بالمظهر الخارجي قدر المستطاع، والفقر لا يمنع الإنسان من الظهور بمظهر مناسب أمام الآخرين، فعلى الرغم من فقرها إلا أنها كانت ترتدي زيًا محتشماً ونظيفاً ومناسبًا.

والرواية جسّدت ذلك عملياً – أيضاً – من خلال حرص (أندي) على أن تكون الفتاة التي سيتزوجها محتشمة ذات دين [4].

ومن ناحية أخرى نقدت الرواية ظاهرة التفريط بالحجاب، وبينت الأثر السلبي الذي

---

(١) ينظر: المرجع السابق : ٢٢٨ – ٢٣١.

(٢) إعداد المرأة المسلمة:د. السيد محمد علي نمر: ٨٨،الدار السعودية – المملكة العربية السعودية، ط ٢ (١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م).

(٣) مهما غلا الثمن: ٦ – ٧.

(٤) ينظر: المرجع السابق : ١٤٥.

نتج عن ذلك، وتم ذلك من خلال الفتاة التي مرت أمام (أندي) وزوجه (سارينا) [1].

وهكذا جسد المضمون في الرواية بصورة مباشرة وغير مباشرة مجموعة من القيم الإسلامية الأصيلة، وعُني بإبراز أثر انتشارها في المجتمع. وأكدت الرواية قدرة الإسلام على حل المشكلات التي تواجه البشر، على المستوى الشخصي والاجتماعي. وعبّر المضمون عن مواجهة القيم الأصيلة القيم الفاسدة التي اندحرت وانهزمت هي وأتباعها شر هزيمة أمام الحق وأهله [2].

* * *

(١) ينظر: المرجع السابق: ١٩١ – ١٩٧.

(٢) ينظر: المجتمع (مجلة) العدد رقم (١٥١٢)، ٢٤/ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ / ٣ / ٨ / ٢٠٠٢م). مقال: الرواية الإسلامية بين المشرقية والرحلة المغربية (رحلة عبد المحسن إلى أمريكا.. ومشكلة أندي الإندونيسي): د. حلمي محمد القاعود: ٥١.

المبحث الثاني: توظيف الشخصيات في الرواية:

الشخصية في الرواية هي التي تقوم بالأحداث، وهي المحور الذي تدور حوله جل عناصر الرواية، وتستقطب كلّ الاهتمام، ولو توقفنا عند الأهمية التي تكتسبها بعض العناصر الأخرى، مثل: الأحداث، والبيئة، والحبكة الفنية، والأسلوب، فسنجد أنها ترجع إلى ارتباط تلك العناصر بالشخصية، فعندما تظهر عناية الروائي بعنصر من العناصر الروائية الأخرى، فإن تلك العناية ترجع إلى ارتباط ذلك العنصر بالشخصية الروائية.

وفي الروايات الواقعية لا يُفرض في الشخصيات التي يقدّمها الكاتب أن يكون لها " ذكر في سجل المواليد والوفيات، ولكن عليه أن يقنعنا بإمكان وجود مثل هذه الشخصيات في الحياة التي نحياها ونعرفها "[1]. فالأهمية التي اكتسبتها الشخصيات الروائية الواقعية تكمن في أن القراء يجدون شبهًا كبيراً بين الشخصيات التي يطالعونها عبر صفحات الرواية وشخصيات يعرفونها في واقع الحياة، وربما يجدون أنها تشبههم في بعض بالجوانب؛ ومن هنا نجد أنه في كثير من الروايات يربط النقاد والقراء على حدّ سواء بين شخصيات الرواية وشخصية الروائي نفسه، أو شخصيات واقعية أخرى في الحياة، لأنهم وجدوا جوانب مشتركة بين الشخصية الروائية وتلك الشخصيات.

ومن هذا المنطلق اكتسبت الشخصية الروائية مزيداً من الجاذبية والتشويق، وأضحت من أقدر العناصر على حمل المضامين، وإيصال الرسائل.

وفي رواية (مهما غلا الثمن) استعان الروائي بمجموعة من الشخصيات الروائية التي شكلت عالمه الروائي، وعملت على تجسيد وجهة نظره، وبلورة رؤاه الفكرية التي أراد أن يقدمها في روايته.

حرص الكاتب على ترسيخ القيم الإسلامية الأصيلة من خلال تقديم نماذج بشرية متنوعة تمثل الخير ونقيضه، ووضُعها في مواقف حاسمة أبرزت نجاح الشخصيات السوية التي تحلت بالأمانة والإخلاص في التعامل مع تلك المواقف، وفشل الشخصيات الشريرة الباحثة عن الكسب السريع؛ بغض النظر عن مصدره.

---

(١) فن القصة: د. محمد يوسف نجم : ١٠-١١، دار الثقافة - بيروت، (د - ت). (بتصرف)

إن الشخصيات الروائية المتنوعة في رواية (مهما غلا الثمن) كانت بمثابة النماذج البشرية التي مثّلت أنماطاً مختلفة من البشر، وقد مثّلت كل شخصية مجموعة من القيم التي طرحها الكاتب في روايته، وكانت معظم الشخصيات تمثل النماذج السوية الخيّرة، باستثناء شخصيتي مدير المستودعات (سودرمان) ووكيله (أغوس).

وتكمن أهمية هاتين الشخصيتين في أنهما تمثلان المعادل الموضوعي لشخصية البطل (أندي) وبقية الشخصيات الخيّرة في الرواية. وهذا التقابل بين الشخصيات يسهم " في تشكيل بنية هذه الرواية. فنجد (أندي) شخصية ثرية فنياً، متعددة الأبعاد: اجتماعياً ونفسياً بما يجعلها تحمل كثيراً من القيم الإسلامية التي أناطها الكاتب بروايته ... بينما نجد (سودرمان) شخصية تحمل لواء الشر ضد كل من يتصل به سواء كان (أندي)، أو مساعد (سودرمان) نفسه (أغوس)، بل إنه لم يمحض السيد (غزالي) النصيحة، عندما حاول أن يورطه بإيقاعه في الشر عندما عرض عليه مشروع إحراق عشش الفقراء المجاورة لمستودعات الشركة "[1].

وفي ظل هذه الثنائية وظفت الرواية الشخصيات الإسلامية في نشر القيم الإسلامية الأصيلة التي توصل الإنسان إلى غاياته في الدنيا والآخرة. يضاف إلى ذلك إسهام تلك الثنائية في تنمية الأحداث الروائية، وإضفاء مزيد من الواقعية عليها، لأنّ الحياة تشمل نماذج بشرية متنوعة تختلف نظرتها إلى الخالق تعالى والكون والإنسان، فجاءت الرواية معبرة عن كل تلك النماذج بصورة إيجابية تمثلت في تقديم النماذج الخيّرة بصورة جميلة تدعو إلى الإعجاب والاقتداء بها، وكان النجاح النتيجة الحتمية لها، مثل شخصيات (أندي، والحاج مأمون، وإيبو فضيلة، ونور حياتي، والسيد غزالي، والسيد زين العارفين)، وتقديم النماذج الشريرة بصورة منفرة من خلال مواجهتها مصيرًا يتناسب مع أفعالها، مثل شخصية (سودرمان مدير المستودع، ووكيله أغوس).

والملاحظ أن النماذج الإيجابية التي قدّمتها الرواية تفوق النماذج الشريرة من حيث عددها، وأثرها في محيط الرواية، وربما كان مردّ ذلك إلى أنّه تعبير عن أن ذلك هو ما يجب أن يتحقق في الحياة.

---

(١) الجزيرة (جريدة)، الأربعاء، ٥ من محرم ١٤٢٥هـ، العدد (١١٤٧٢)، مقال (تطور التجربة الفنية عند الدكتور عبد الله العريني في روايته مهما غلا الثمن): د. سعد أبو الرضا، ص ٤١.

وفي مقابل إظهار الرواية الشخصيات الخيّرة بصورة حسنة، أدانت الشخصيات الشريرة التي أفنت حياتها في الجري خلف المال بطرق غير شرعية، وكان السجن النتيجة الحتمية لسعيها الجشع وراء المال، حيث أُدين مدير المستودعات بحرقها، وزج به في السجن [1].

وظفت الرواية الشخصيات الروائية في تجسيد فكرة مؤداها أن الإنسان السوي يستطيع أن ينجح في حياته من خلال تمسكه بالقيم الإسلامية، وقد عبر نجاح الشخصيات الخيّرة في تحقيق غاياتها عن إمكانية تحقق ذلك. وقد مثلت تلك الشخصيات شمعة أو شمعات مضيئة في مرحلة تئن من الضعف والانكسار.

ووجود شخصية الثري الخيّر سمة ظاهرة في روايات الكاتب، ففي روايته الأولى (دفء الليالي الشاتية) نجد شخصية الثري (أبي فهد) الذي قام بإنشاء أول مسجد في مدينة (دنفر) في (أمريكا)، وبذلك أسهم في حل مشكلة المسلمين في تلك المدينة، بعد أن نجح (عبد المحسن) بطل الرواية في إقناعه بذلك [2]. وفي رواية الكاتب الثالثة (مثل كل الأشياء الرائعة) مثلت شخصية الشيخ (مبارك) شخصية المسلم الثري المحسن الذي يسخّر ماله في خدمة الآخرين، وكان قد ذهب إلى (مدغشقر) في رحلة صيد، ومن خلال المواقف المختلفة برزت شخصيته بوصفه رجلاً كريماً صالحًا يسخّر ماله في مساعدة المحتاجين [3].

قدّمت الشخصيات الأربع الثرية التي جاءت في روايات الكاتب الثلاث أنموذجًا لشخصية المسلم الثري الذي وسّع الله تعالى عليه رزقه، وبدوره قام بجعل ذلك المال في خدمة الآخرين. وأرى أن تقديم مثل هذه الشخصيات جاء مجسداً للتصور الإسلامي لكيفية التعامل مع المال، فالإسلام لا يعترف بالطبقية، ويجعل التقوى المقياس الذي يحكم من خلاله على الإنسان المسلم، فلا فرق بين غني ولا فقير، ولا بين أسود وأبيض، والمجتمع الإسلامي يمثل لحُمة واحدة، تسوده روح الأخوة.

---

(١) ينظر: مهما غلا الثمن: ٢١٩.

(٢) ينظر: دفء الليالي الشاتية : ١٢٤ – ١٣٢.

(٣) ينظر: مثل كل الأشياء الرائعة: د. عبد الله العريني: ١٥٤ – ١٥٦،١٦٤، ١٧٥ – ١٨١، دار كنوز إشبيليا – الرياض، ط ١ (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

والكاتب نجح في توظيف شخصيات روايته في التعبير عن معتقداته وآرائه، وأعطاها " فرصة الحركة الطليقة على سجيتها، لتعبّر عن نفسها، عما يدور في داخلها " [1]. وبدت حركتها وفق السياق العام للرواية، وكانت الشخصيات الخيرة متفاعلة مع مجتمعها، متصالحة مع نفسها، واضحة في تصرفاتها، متفائلة، قانعة، راضية، مؤمنة بقضاء الله وقدره، وكان النجاح في تحقيق الأهداف هو الثواب الذي نالته.

أما الشخصيات الشريرة فجاءت لاستكمال المشهد الروائي، بحيث مثلت الجانب الآخر المضاد، ومن خلال نجاح الشخصيات السوية والقيم التي حملتها، واندحار وانهزام الشخصيات الشريرة والقيم التي حملتها – وفق الكاتب في توظيف الشخصيات الروائية في تقديم صورة إيجابية للإسلام وشخصياته، التي ربما اتخذها القارئ قدوة حسنة في حياته.

* * *

(١) المجتمع (مجلة)، العدد (١٥١٥) ١٦ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ / ٢٤ / ٨ / ٢٠٠٢م، مقال: الرواية الإسلامية بين الرحلة المشرقية والرحلة المغربية (٤–٤): د. حلمي محمد القاعود: ٥٢.

المبحث الثالث: توظيف الأحداث الثانوية في الرواية:

الأحداث الثانوية هي مجموعة من الوقائع الجزئية التي يسردها الروائي في روايته، والتي تشكل مجتمعة الحدث الرئيس، وتسهم في تجسيد المعنى العام للرواية. ولهذا النوع من الأحداث أهمية في البناء الفني للرواية، ومن ذلك أنها تسهم – مع غيرها من العناصر الروائية – في التعبير عن وجهة نظر الكاتب ومواقفه المختلفة.

وفي رواية (مهما غلا الثمن) وظف الكاتب الأحداث الثانوية في التعبير عن الآراء والمعتقدات التي يؤمن بها، من خلال حسن اصطفائه مجموعة من الأحداث الثانوية، التي مثلت تلك الآراء، وعبرت عن وجهة نظره، ومن ذلك التوظيف:

١– تصحيح الفهم الخاطئ لدى فئة من المسلمين، حول بعض العبادات، فالحج – مثلاً – فرضه الله تعالى على المستطيع، أما أن يُحمِّل المسلم نفسه مالا تطيق من أجل القيام بهذا الركن، فأمر لا يقره الشرع، وهذا ما أكدته الرواية، فوالد (بجّو) باع مزرعته؛ ليؤدي فريضة الحج، وترك أسرته لا تملك شيئاً. وبعد عودته من الحج اضطر إلى العمل أجيراً في مزرعته السابقة، وسافرت ابنته لتعمل خادمة في بلاد بعيدة، وأصبح ابنه بائعاً متجولاً. وبعد فوات الأوان عرف أن الحج لمن استطاع إليه سبيلاً [١].

٢– الدعوة إلى التسامح بين المسلمين، وتجاوز الزلات، وكان ذلك من خلال الإشارة إلى مناسبة (حَلَلْ بحلَلْ)، وهي " تقليد إندونيسي اجتماعي جميل تبدأ أيامه مع بداية عيد الفطر، وتنتهي بنهاية شهر شوال من كل عام، وعبارة (حلل بحلل) مأخوذة من اللغة العربية، وأصلها (حلال بحلال)، بمعنى تحلل الإنسان ممن أخطأ عليه أو أساء إليه، وأن يطلب مسامحته . . . "[٢]. وقام (أندي) بالذهاب إلى (سودرمان) مدير المستودعات، وسلّم عليه، وحاول أن يبدأ معه صفحة جديدة، على الرغم من أنه كان السبب في زجه بالسجن [٣].

٣– الحث على ضرورة التعامل الحسن مع الفقراء والمساكين والبائعين المتجولين، ونقدت الذين يتعاملون بصلف مع أمثال هؤلاء، وتمثل ذلك من خلال الطفل البائع

---

(١) ينظر: مهما غلا الثمن: ٥٠.

(٢) المرجع السابق : ٢١١.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ٢١٢ – ٢١٩.

الذي كان يقفز قفزاً إلى داخل القطار ليبيع بعض ما يحمل من زجاجات الشاي، في أثناء وقوف القطار، وكان الرجل الذي يجلس بجوار (أندي) قد طلب من الطفل أن يعطيه زجاجة من الشاي، وأخذ فترة طويلة من الوقت في مجادلة الطفل، حتى كاد يحرمه من بيع أي شيء؛ لأن القطار أوشك على التحرك، والطفل يرجوه أن يحسم أمره، ولكن الرجل واصل جداله بكبرياء، فطلب (أندي) من الطفل أن يعطيه الزجاجة، ودفع له ثمنها، فشرع الصبي بفتح " الزجاجة بيدين مرتعشتين من تأزمه النفسي، وقدّمها له فراح يشربها بكل انشراح، وفي الوقت الذي لم يستطع جاره أن يقول شيئاً، أو يفعل شيئاً، وإنما اكتفى بزم شفتيه معلناً تبرمه وسخطه ... " [1].

٤ – نقدت الرواية ظاهرة التبذير المنتشرة في بعض المجتمعات الإسلامية، وذلك من خلال حزن (نور حياتي) الشديد وتأثرها بما يحدث للطعام بعد الولائم التي كانت تقيمها الأسرة التي تعمل لديها، فبعد انتهاء الوليمة يرفع الطعام الشهي، ويلقى في صناديق النفايات، وهذا المشهد المتكرر كان مبعثاً لحزنها وألمها، ودافعاً إلى تذكر الجوع الذي يعيشه أهلها [2].

٥ – التذكير بقدرة الله تعالى، وتمثل ذلك من خلال حادثة ثورة البركان التي كانت بمثابة الشاهد الحي على قدرة الله تعالى، وقد تشرد بسببه سبعون ألفاً، ومات خمسة عشر ألف قتيل، من أهالي إحدى القرى، وقدّم الكاتب في روايته صوراً مروّعة لحال أولئك المشردين، نقلوها لأهل القرية التي نزحوا إليها، ومن ذلك قول (أندي) لوالده: " لقد حدثونا عن تلك الليلة التي ثار فيها البركان، وكيف أضرمت النيران بأكثر منازل القرية، إن لم يكن فيها كلها، كانت أصوات الانفجارات تهز رؤوس الناس ... إحدى النساء حملت كيس أرز صغيراً من شدة الخوف وضمته إلى صدرها وأسرعت به إلى معسكر اللاجئين، وفي المعسكر وضعته، وهي تقول: لقد وصلنا أخيراً يا بني !! مسكينة لقد ظنت ذلك الكيس هو ابنها ... " [3]

عمل الكاتب على توظيف الأحداث الثانوية في الرواية في تمثل القيم

---

(١) المرجع السابق: ٤٦.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ٨١.

(٣) المرجع السابق: ١٠٩ – ١١٠.

الإسلامية الأصيلة ونشرها بين القراء، ونقد بعض جوانب القصور في المجتمعات الإسلامية. وقد سارت تلك الأحداث في سياق المضمون الروائي، وجاءت حركتها متفقة مع حركة الشخصيات والجو العام للرواية.

* * *

المبحث الرابع: صورة الأسرة المسلمة في الرواية:

الأسرة هي اللبنة الأولى من لبنات المجتمع، وإذا صلحت صلح المجتمع، والأسرة " في الإسلام تشمل الزوجين والأولاد الذين هم ثمرة الزواج وفروعهم، كما تشمل الأصول من الآباء والأمهات، فيدخل في هذا الأجداد والجدات، وتشمل – أيضاً – فروع الأبوين . . . "[1].

والنواة الأولى للأسرة تتشكل من خلال العلاقة بين الرجل والمرأة، وأساس العلاقة بينهما في الإسلام هو الزواج الذي يعدّ الرابطة التي تنقل العلاقة بين رجل وامرأة من التحريم إلى الحل الشرعي، وكل العلاقات ما عداه حرام تستوجب أشد العقاب[2].

١ – العلاقة بين الرجل والمرأة:

برع الكاتب في رواية (مهما غلا الثمن) في تقديم صورة مشرقة لعلاقة الرجل بالمرأة في إطارها الشرعي، المتمثل في إقامة حياة زوجية سعيدة قوامها الرحمة والمودة، وإقامة شرع الله تعالى. وذلك من خلال تقديم نموذجين لعلاقة الرجل بالمرأة وفق النظرة الشرعية، وفي إطارها الصحيح المتمثل في الزواج.

– النموذج الأول: تمثل في والدي بطل الرواية (أندي) (الحاج مأمون) وزوجه (إيبو فضيلة)، فالعلاقة بين هذين الزوجين قامت على المودة والرحمة، إذ عملت الأم مديرة منزل لمدة ثلاث سنوات، حارمة نفسها من كلّ شيء، لكي تسدد ديون زوجها، وتفك رهن مزرعته[3].

– أما النموذج الثاني: فتمثل في العلاقة بين (أندي) وزوجه (سارينا)، حيث قامت العلاقة بينهما على الحب الناشئ في إطار بيت الزوجية، فالحب الصحيح – كما قدّمته الرواية – هو ذلك الحب الذي يأتي بعد الزواج[4].

إن الأساس في نجاح العلاقة الزوجية يقوم أول ما يقوم على حسن اختيار الزوجة، و(أندي) عندما رغب في الزواج قرر أن يختار ذات الدين والعفاف والخلق الفاضل[5]، ونتيجة لهذا الاختيار وفق في زواجه.

---

(١) تنظيم الإسلام للمجتمع: محمد أبو زهرة: ٦٢، دار الفكر العربي – القاهرة.

(٢) ينظر: تنظيم الإسلام للمجتمع : ٦٣ .

(٣) ينظر: مهما غلا الثمن: ٢٣١.

(٤) ينظر: المرجع السابق: ١٩٥.

(٥) ينظر: المرجع السابق: ١٤٥.

ومن خلال الأحاديث التي كانت تجري بينهما، قدّم الكاتب أنموذجاً لحياة زوجية سعيدة، قوامها المودة والرحمة والاحترام،في إطار بيت الزوجية.وإذا كان (أندي) قد فشل في الزواج بمن أحب، فالحياة لم تتوقف،لأن البيوت السعيدة لا تقوم على الحب الذي ينشأ قبل الزواج،فالحب الحقيقي هو ذلك الحب الذي يولد بعد الزواج،من خلال العشرة الطيبة القائمة على المودة والرحمة[1].

وقد أشاد الدكتور (سعد أبو الرضا) بتوجه الكاتب " الأخلاقي الإسلامي وهو يتعامل مع قضية المرأة والعلاقة بينها وبين الرجل، مقارناً بين ما نجده في هذه الرواية من عفة وتعفف، وبين روايات أخرى تتخذ من الجنس المكشوف وسيلة لتجسيد هذه العلاقة...وها هو ذا الدكتور (عبد الله العريني) يقدّم للقارئ عمله الروائي الثاني (مهما غلا الثمن) محققًا نقلة فنية متميزة في تشكيل بناء الرواية، وتجلي نسيجها اللغوي المتآلف المتناسق إلى حدٍّ كبير، مع استمراره في تحقيق مستوى أخلاقي متميز أيضاً لعلاقة الرجل بالمرأة من حيث العفة والتصون ومعالجته لهذه العلاقة من مدخلها الشرعي وهو الزواج، برغم تراثي الحب كرابط إنساني وجداني بين الزوجين ... "[2].

والرواية أنصفت شخصية المرأة مما لحقها من تشويه في كثير من نماذج الرواية العربية التي بدت المرأة فيها مجسّدةً لصورة الخيانة والرذيلة والانحراف[3]. بينما قدّمت رواية (مهما غلا الثمن) نماذج مشرقة لشخصية المرأة المسلمة الملتزمة بتعاليم الشرع الحنيف، وأظهرت – أيضاً – دورها المهم في نجاح الأسرة المسلمة، ومن هذه الشخصيات: (إيبو فضيلة، وسارينا، ونور حياتي، وهيلة).

٢ – العلاقة بين الآباء والأبناء:

نظّم الإسلام العلاقات المختلفة التي تنشأ بين الأفراد والجماعات، وبما أن الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع، فقد نظّم الإسلام الحقوق والواجبات التي على كل فرد من

---

(١) ينظر: المرجع السابق : ١٦٥ – ١٧٧.

(٢) الجزيرة (جريدة)، الأربعاء ٥ من محرم ١٤٢٥هـ. العدد (١١٤٧٢)، مقال (تطور التجربة الفنية عند الدكتور عبد الله العريني في روايته مهما غلا الثمن): د. سعد أبو الرضا، ص ٤١.

(٣) ينظر: على سبيل المثال شخصية المرأة في روايات نجيب محفوظ، مثل: (نفيسة في بداية ونهاية، وإحسان شحاته في القاهرة الجديدة، وزنوبة في الثلاثية، ونور في اللص والكلاب).

أفرادها، فالأبناء لهم حقوق وعليهم واجبات [1].

وفي رواية (مهما غلا الثمن) سعى الكاتب إلى تقديم أنموذج إسلامي لتلك العلاقة، مبرزًا أثر تلك العلاقة في نجاح أفراد الأسرة في التغلب على الأزمات التي تعرضوا لها.

والرواية جسّدت عاطفة الأمومة والأبوة تجاه الأبناء، ومن ذلك ذهاب (إيبو فضيلة) إلى السيد (غزالي)، لإخراج ابنها من السجن، بتهمة حرق المستودعات، على الرغم من براءته من تلك التهمة [2].

وفي مشهد استقبال الحاج(مأمون) ابنه(أندي) العائد من القرية،صورة معبرة عن عاطفة الحب التي يحملها الأب لابنه، فعندما علم بقدوم ابنه ترك عمله في المزرعة، وعاد إلى البيت، وحين رآه " فتح له ذراعيه، وتهلل وجهه بالبشر، عانقه وضمه إليه، شعر برغبة جارفة بالبكاء " [3].

وفي موقف آخر أخفى الحاج (مأمون) عن ابنه موضوع رسالة (نور حياتي) الرابعة التي تدعوه إلى أن يلحق بها للعمل سائقاً في (السعودية)، وذلك لأنه لا يريد أن يبتعد عنه [4].

يضاف إلى ذلك أن الحاج (مأمون) كان يصر على تسمية ابنه بـ (أندي الصغير)، وعلقت زوج (أندي) على ذلك بقولها: " لا تنزعج من قول أبيك (أندي الصغير) !! فنحن عند آبائنا وأمهاتنا نظل صغاراً، ولو كبرنا !! شعورهم بأننا ما زلنا صغاراً كفيل بألا يقطع عنّا حبهم وإحسانهم " [5].

والرواية ركزت على إظهار أهمية تربية الأبناء تربية إسلامية صحيحة، وأبرزت أثر تلك التربية في الأبناء والآباء في الوقت ذاته، وقد ظهرت نتيجة التربية من خلال نجاح (أندي) و (نور حياتي) في حياتهما.

لقد مثّلت شخصية (أندي) بطل الرواية شخصية المسلم الملتزم بدينه، المتمسك بالقيم الإسلامية الأصيلة، وكان لوالديه الفضل بعد الله تعالى في غرس تلك القيم في نفسه، ومن ثم انعكست على حياته وأثّرت فيها، ويبرز ذلك من خلال علاقاته داخل

---

(١) ينظر: تنظيم الإسلام للمجتمع: ٩٩ – ١٣٢.

(٢) ينظر: مهما غلا الثمن: ٥ – ١٦.

(٣) المرجع السابق: ٥٥.

(٤) ينظر: المرجع السابق: ١٠٥ – ١٠٦.

(٥) المرجع السابق: ١٧٦.

محيط أسرته: مع والديه، وزوجه (سارينا)، ومن خلال نجاحه في مجتمع عمله، حتى تمكن من كسب ثقة مدير الشركة السيد (غزالي)، فتحول من مجرد موظف بسيط إلى موظف مهم في مكتب مدير الشركة يستشيره في معظم قراراته المهمة، بعد أن عرّضه لاختبارات تجاوزها بنجاح [1]، بفضل تمسكه بالقيم الإسلامية الأصيلة التي تربى عليها منذ الصغر في أسرته، مثل الصبر الذي اكتسبه من والده، حتى إنه كان يسمي الصبر (كنز أبي) [2].

وكانت والدته توجهه، حتى بعدما أصبح رجلاً، يبحث عن زوجة، فقالت له: " إذا كنت تحب (سارينا) فعليك أن تأتي البيوت من أبوابها " [3].

مثّل والد (أندي) ووالدته ركني الأسرة الفقيرة التي نشأ فيها بطل الرواية، وكان لهما أكبر الأثر في تربيته تربية إسلامية صحيحة مكنته من النجاح في مواجهة صعوبات الحياة، وعبر (أندي) عن ذلك من خلال قوله: " يا الله، منذ صغري كنت أسمع والدي يردد كثيراً على مسمعي كلمة (الصبر)، إنه يعده مفتاح النجاح في الحياة. أتعلمين ؟ لولا توفيق الله ثم نصيحته الخالدة لما استطعت أن أتغلب على مشاكل الحياة واحدة بعد الأخرى ... إنه درس علمني إياه والدي، وسوف أنقل هذا الدرس إلى أبنائي في المستقبل ... " [4].

أما (نور حياتي) فشقت طريقها بنجاح عند الأسرة التي تعمل لديها خادمة، وصرحت لوالدتها في أكثر من موضع في الرواية بأن سر نجاحها يرجع إلى التربية الإسلامية الصحيحة التي حظيت بها من قبل والديها، ومن ذلك قولها: " سأتحدث لكِ أنتِ بالذات يا أمي عن كلِّ شيء، وأشكرك على تربيتك لي، هذه التربية التي علمتني النشاط والأمانة والعفة، وقد شعرت أنني أستفيد من تعليماتك أكبر فائدة " [5].

وقالت في موضع آخر: " أمي الغالية، لقد قررت أن أكتب إليكِ أنتِ بالذات عن وقائع

---

(١) ينظر: المرجع السابق: ١٥٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ١٥٠، ١٦٥، ١٧٠، وغيرها من المواضع.

(٣) المرجع السابق: ١٤٩.

(٤) المرجع السابق : ٢٣٣.

(٥) المرجع السابق: ٧٦.

غريبة وقعت لي، وما كان المخرج منها – بعد توفيق الله – إلا تربيتك وتعليماتك الثمينة التي أعتز بها، بل كان لهذه التربية الفضل – بعد الله – في حب أهل المنزل لي وثقتهم بي " [1].

والوقائع الغريبة التي ذكرتها في رسالتها تمثلت في تعرضها لامتحانين من أصحاب المنزل؛ للتأكد من أمانتها، وقد اجتازتهما بنجاح [2]. ومن خلالهما ظهر بوضوح أثر التربية الإسلامية في بناء شخصيتها بناء سليماً منحها مزيداً من الثقة في النفس؛ وبذلك تحلت بالقناعة والرضا والأمانة والإخلاص، وقد شكرت في رسالتها الرابعة أهلها على حسن تربيتها، وذلك من خلال قولها: " أما قلت لك يا أمي، ويا أبي: إن تربيتكما لي هي خير ما أحمله معي. لقد بدأت أرى محاسن تلك الأخلاق التي حرصتم على أن ألتزم بها أنا وأخي (بجّو) فجزاكم الله خير الجزاء " [3].

وكانت (نور حياتي) قد أخبرت ووالدتها بأنها رأتها في المنام تقول لها: " أنت ابنتي حقاً !! " [4]، بعد أن سلمت الخمسمائة ريال التي وجدتها في الثياب إلى صاحبة المنزل.

سعت الرواية إلى إظهار ثمرة التربية الصالحة للأبناء، من خلال النجاح في الحياة العملية والأسرية، وهذا النجاح انعكس بطبيعة الحال على الآباء والأمهات، الذين نعموا ببر الأبناء. وهذا ما جسدته الرواية – أيضاً – حيث قدّمت صوراً مختلفة لبر الأبناء، ومنها معرفة حقوق الوالدين وفضلهما، فكان (أندي) يعرف فضل والديه عليه، ويسمع توجيهاتهما، ويستحضر كلامهما، مثل قوله عن الصبر: كنز أبي. أما (نور حياتي) فكانت ترجع سر نجاحها – بعد توفيق الله تعالى – إلى والديها.

وعملياً تجسد ذلك البر من خلال سلوك الشخصية، (فأندي) عندما عاد إلى قريته في زيارة بعد خروجه من السجن انحنى يقبل يدي والده بحرارة وحب جارف [5].

وحدث الشيء نفسه عندما علم بمرض والده، فجاء مسرعاً، "وما إن دخل على

---

(١) المرجع السابق: ٨٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ٨٤ – ٩١.

(٣) المرجع السابق: ١٠٤. وينظر: ١٠١.

(٤) المرجع السابق: ٨٨.

(٥) ينظر: المرجع السابق: ٥٦.

والده، حتى أكب على يديه يقبلهما، ثم ضمه إلى صدره "[1].

وعندما قرأ الرسالة الرابعة، التي تحوي دعوة من (نور حياتي) ليعمل سائقاً في (الرياض)، قرر أن يأخذ موافقة والده [2].

وفعل الشيء نفسه مع والدته عندما أراد أن يتزوج، فقرر أن يسمع رأيها، لأنه يعلم أنه لا أحد يحبه كما تحبه أمه، وأنها أقدر منه على رؤية بعض الجوانب الخفية التي قد تغيب عنه [3].

ومن صور البر التي قدمتها الرواية – أيضاً – تقديم المساعدة المادية، وقد قام بذلك (أندي) عندما زار والديه في القرية، ولكن والده ردّها شاكراً، وقال له: " لو احتجت مساعدتك لأخذتها منك. ولكن أمورنا المالية أفضل بكثير مما تتصور " [4].

٣ – تعامل الأسرة المسلمة مع الخدم:

العاملون في المنازل أو الخدم هم فئة من الناس تشارك الأسر حياتها ومعيشتها، بما تحمل من أفراح وأتراح. وهناك من يتعامل مع هذه الفئات بصلف وقسوة، وهذا مخالف للتشريع الإسلامي الذي حثنا على الإحسان إلى كل الناس.

ورواية (مهما غلا الثمن) أثْرت موضوع الأسرة المسلمة في الرواية من خلال تناولها جوانب مختلفة من حياة الأسرة المسلمة، ولاستكمال الصورة سعت إلى بلورة وجهة النظر الإسلامية في التعامل مع الخدم، من خلال تقديم صورة نموذجية عملية لتعامل أسرة مسلمة مع فئة الخدم التي قدّر الله تعالى عليها ذلك المصير. وقد جسّدت أسرة (عبد اللطيف) ذلك النموذج الإيجابي للتعامل مع الخدم، وتحقق ذلك من خلال مواقف متعددة، فمنذ أن حطّت الطائرة التي أقلت (نور حياتي) من بلدها (إندونيسيا) إلى أرض (المملكة العربية السعودية) – شرعت الرواية في تقديم صورة نموذجية للتعامل الإسلامي الصحيح مع تلك الفئة، (فعبد اللطيف) عندما ذهب إلى المطار لاستقبالها صحب أبناءه؛ تجنباً لوقوع الخلوة بينهما [5].

---

(١) المرجع السابق: ١٨٢. وينظر – أيضاً – ١٩٨.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ١٠٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ؛ ١٤٦.

(٤) المرجع السابق: ٢٣٢.

(٥) ينظر: المرجع السابق: ٧٢.

وصاحبة المنزل (هيلة) كانت تناديها بـ (يا بنتي) [1]. وكانت (نور حياتي) ترد عليها بـ (ماما هيلة) [2].

وبعد أن تأكدت صاحبة المنزل من أمانتها، بعد نجاحها في تجاوز الامتحانين اللذين تعرّضت لهما، قالت لها: " أنت اليوم مثل بنت من بناتي ... " [3].

والتعامل الحسن الذي حظيت به (نور حياتي) من قبل الأسرة التي عملت لديها كان يشعرها بالسعادة والرضا، وجعلها توازن بين حياتها وحياة بعض صديقاتها اللواتي كن غير سعيدات في حياتهن العملية، حيث قالت: " حدثتني بعض صديقاتي عن أنهن لسن سعيدات مثلي، تمنت كل واحدة أن تكون مكاني !! أما أنا فأشعر بالسعادة ... " [4].

يضاف إلى ذلك أن ربة المنزل عندما اكتشفت قدرتها على ترتيل القرآن الكريم، طلبت منها تخصيص وقتٍ لتعليم ابنيها (خالد والعنود) قدراً من القرآن، مقابل أن تمنحها مكافأة إذا حفظ أي منهما جزءاً من القرآن الكريم [5].

ومن خلال تقديم صور عملية لواقع الأسر المسلمة عملت الرواية على توظيف تلك الصور الإيجابية في نشر القيم الإسلامية الأصيلة، ومن ناحية أخرى عمّقت فهمنا بأهمية الدور الذي تقوم به الأسرة في بناء أفرادها بناء سليماً، ومن ثم بناء المجتمع الإسلامي الذي ننشد.

* * *

(١) ينظر: المرجع السابق: ٧٤.
(٢) ينظر: المرجع السابق: ٨١.
(٣) المرجع السابق: ٩٠.
(٤) المرجع السابق : ١٠٠.
(٥) ينظر: المرجع السابق: ١٠١ – ١٠٣.

المبحث الخامس: توظيف الحوار في الرواية:

الحوار ركن من أركان الأسلوب الروائي، وصورة من صوره، وهو " اللغة المعترضة التي تقع وسطاً بين المناجاة واللغة السردية. ويجري الحوار بين شخصية وشخصية، أو بين شخصيات وشخصيات أخرى داخل العمل الروائي "[1].

ومن خلال الحوار يترك الكاتب " طرفي الحوار يستخدمان كل ما يستطيعانه، من وسائل لعرض أفكارهما. وفي هذا متعة للقارئ، إذ يشعر أنه يسمع تلك الأفكار مباشرة من أصحابها، وأن أولئك قد سنحت لهم الفرصة أن يقولوا ما يريدونه...

وهي فرصة ذهبية للكاتب – أيضاً – كي يمسك بالقضية من أطرافها، في صياغة ظاهرها الحياد المطلق، وحقيقتها التوجيه الخفي، إلى ما يرومه من قيم ومبادئ "[2].

وفي رواية (مهما غلا الثمن) كان الحوار من الوسائل الناجعة التي وظفها الكاتب في نشر آرائه وأفكاره، ومن صور ذلك التوظيف:

١ – تضمين أحاديث الشخصيات الروائية الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة. وهذا يسهم في إضفاء الروح الإسلامية على الجو العام للرواية. يضاف إلى ذلك أنه كان وسيلة ناجعة للتوجيه والتذكير والتعليم، ومن ذلك استشهاد (نور حياتي) بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: من الآية ٢٧]، في أثناء حديثها مع صاحبة المنزل التي تعمل لديها عن الطعام الذي يُلقى في صناديق النفايات بعد انتهاء الولائم[3].

ومن ذلك – أيضاً – قول (سفيان) سكرتير السيد (غزالي) للسائق الذي دهس طفلاً: " سأشرح له كل شيء، دع هذا الأمر عليّ، وكن من أولئك ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَ�ٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦ – ١٥٧] "[4].

ومن ذلك – أيضاً – قول (أندي) لزوجه (سارينا) مداعباً، عندما طلبت منه أن يحدثها

---

(١) في نظرية الرواية: د. عبد الملك مرتاض: ١٣٤، سلسلة عالم المعرفة – الكويت، شعبان (١٤١٩ هـ).

(٢) الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية: ٢٨٠.

(٣) ينظر: مهما غلا الثمن: ٨١.

(٤) المرجع السابق: ١٤١.

عن كنز أبيه،: " الحديث يطول، وأخشى أن أنشغل بالحديث، فتنفردي بهذا الطعام اللذيذ، ثم أضاف ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: من الآية ٢٨] " [١].

والجمل الحوارية التي أجراها الكاتب على ألسنة الشخصيات الروائية بدا عليها التأثر واضحاً بأسلوب القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وهذا يعكس تأثر أسلوب الكاتب بالنصوص الشرعية، ومن ناحية أخرى كان وسيلة من وسائل نشر القيم الإسلامية والتعبير عن واقع المجتمع الإسلامي. وهناك ميزة أخرى أرى أنها مهمة، تتمثل في أن تأثر أسلوب الرواية بأسلوب القرآن الكريم والأحاديث الشريفة يسهم في إكساب الفن الروائي أهمية وقيمة، ويجعله أكثر قبولاً وقدرة على التأثير. ومن نماذج التأثر بأسلوب القرآن الكريم، قول (أندي) لوالده: " مثل أن تطلب من ذلك التاجر تأجيل السداد إلى أجل، ثم يبدل الله بعد العسر يسرا " [٢].

ومنه – أيضاً – ما جاء على ألسنة الشخصيات الروائية أثناء حوارها، مثل: (فعادتهم أنهم لا يسألون الناس إلحافاً، فعليك أن تأتي البيوت من أبوابها، ألا تخاف سهام السحر التي لا تخطئ ، إنا لله وإنا أليه راجعون، الحمد لله على كل حال)، وغيرها من المواضع [٣].

٢- نقد ظاهرة التساهل في أمر الحجاب، فبينما كان (أندي) يسير مع زوجه (سارينا) في الشارع مرت بهما فتاة (إندونيسية) بلباس غير محتشم، ومن خلال الحوار الذي أجراه الكاتب بينهما، وضح أهمية الحجاب في حماية المجتمع من الرذيلة [٤]، وفيه قال (أندي) لزوجه: إن سبب اختيارك زوجاً لي، يرجع إلى أنك مختلفة عن النساء المتبرجات." لا بموديل الثياب، أو لون الحذاء، أو تسريحة الشعر،بل في إصرارك على اللباس الساتر المحتشم،إنني على يقين من أن المرأة المتبرجة تقدم نفسها على أنها جسد شهواني فقط،وأن الجسد هو المهم الذي

---

(١) المرجع السابق: ١٦٨. ومن المواضع الأخرى التي استشهدت فيها الشخصيات الروائية أثناء حواراتها بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، أو جاءت ضمن حواراتها: ١٣٨، ١٣٩، ١٥٨،١٦٠،١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، وغيرها من المواضع.

(٢) المرجع السابق : ٥٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ٩٥، ١٤٨، ١٥٨، ١٧٨، ٢٢٥، ٢٢٦، وغيرها من المواضع.

(٤) ينظر: المرجع السابق: ١٩١– ١٩٥.

يتفوق على دينها وخلقها وعقلها وقلبها وعلمها وفكرها ودورها الكريم في الحياة،وكأنها ليست إلا دمية من الدمى" [1].

٣ – نشر بعض الأفعال الإسلامية المشروعة التي ربما غابت عن أذهان بعض الناس، مثل: صلاة الاستخارة، وتمثل ذلك في الحوار بين الحاج (مأمون) وابنه (أندي)، ومن خلاله وجهه إلى أداء صلاة الاستخارة، قبل اتخاذ قرار السفر إلى السعودية أو البقاء في بلده، وأرشده إلى كيفية القيام بذلك، وأخبره أن " الإنسان مهما اجتهد يحتاج أن يكون الله معه، وألا يغتر بأنه قد أعدّ كل العدة، واستعد كل الاستعداد " [2].

٤ – نقد بعض التصرفات التي تصدر عن بعض المسلمين، مثل الحرص الشديد على تسويق (السجائر). وقد مثّلت الرواية ذلك من خلال الحوار بين (أندي) و (بجّو) أثناء سيرهما في القرية، عندما شاهدا شابًا " يحمل على صدره صندوقاً صغيراً يبيع السجائر؛ يبيعها بالحبة، والحبتين، ليلائم حاجات الفقراء الذين لا يستطيعون شراء علبة كاملة، أليس عجيباً يا (بجّو) هذا الحرص على تسويق السجائر، وإنفاق ملايين الروبيات من أجلها، مع أن الذين يشترونها هم أحوج ما يكونون إلى ثمنها لشراء طعام أو دواء " [3].

٥– نقد التقصير الواضح في تدريس العلوم الشرعية، وأبرز أثر ذلك التقصير في حياة المجتمع، حيث انتشرت البدع، وانتشر الزي الغربي بين الطلاب والطالبات، وصرحت (سارينا) لزوجها بأنها لم تستطع العيش في مثل ذلك الجو، لذا فضلت أن تعمل في مدرسة (الباقيات الصالحات)، حتى بنصف الراتب [4]. وأخبرته أنه المها أن تكون " حصة الدين حصة واحدة يتيمة، يلقيها مدرس مادة الخلق الإسلامي، فليس هنالك تعليم للعقيدة وللعبادة، حصة واحدة يتيمة ماذا يمكنها أن تعمل ؟ . . . " [5].

وتبعاً لهذا الموضوع نقد الحوار إرهاق المعلم والتقصير في حقه، وقد تجسد ذلك في

---

(١) المرجع السابق: ١٩٥.

(٢) المرجع السابق: ١١٨.

(٣) المرجع السابق: ٩٤.

(٤) ينظر: المرجع السابق: ١٩٤.

(٥) المرجع السابق : ١٩٣.

سياق قول (أندي)لـ(بجّو):" ... وفي التعليم يُرهق المعلم بكثرة الحصص الدراسية،وقلة المكافأة، فيضطر إلى أن يُدرّس في مدرستين أو ثلاث مدارس في اليوم الواحد، ليسدد مصروفاته الضرورية. وبدلاً من مساعدته على الخروج من هذه المحنة التي وضعناه بها يكون الحل الذي نقدمه، عيداً للمعلم، وأناشيد وحفلات صاخبة في نهاية السنة الدراسية !! فتنجح أجيال لا تحمل الحد الأدنى من التعليم"[1].

٦ – نقد بعض الإعلانات التجارية التي تمارس الدجل والكذب على الناس، وقد تمثل ذلك من خلال حديث (أندي) لـ (بجّو) عن لافتات الشوارع في (جاكرتا)، وما تحمل من تدليس، ومن خلال الحوار – أيضاً – تم نقد واقع الطب، واتجاه الناس إلى المسكنات [2].

٧ – نقد واقع الغرب الذي يدّعي حماية حقوق الإنسان، بينما ينفق عشرات المليارات من الدولارات على أدوات الزينة، وينفق في السنة الواحدة أكثر من ثلاثين مليار دولار على الكلاب والقطط، بينما يموت في كل سنة أربعة ملايين طفل في الدول النامية، بسبب مرض الجفاف الذي لا يكلف علاج المريض ربع دولار فقط [3]. وهذا ما بيّنه (أندي) لزوجه (سارينا) فأجابته ضاحكة: " كل هذه الأرقام الفلكية من أجل قطط وكلاب، ليتهم إذن يعاملوا الآخرين كمعاملة الكلاب والقطط ؟

رد (أندي) باهتمام بالغ: ولو فعلوا !!– وهو أمر مستبعد تماماً – فإن مشكلات الدول النامية ستحل إذا أعطيت جزءاً من الأموال الموجهة للقطط والكلاب في تلك البلاد " [4].

وهكذا عمل الحوار في الرواية على تجسيد رؤية الكاتب، والتعبير عن أفكاره، فجاء حافلاً بالدعوة إلى التمسك بالقيم الإسلامية الأصيلة، وفي الوقت ذاته وظف في نقد بعض جوانب القصور في بعض المجتمعات الإسلامية، وتجاوز ذلك إلى نقد بعض السلوكيات في المجتمعات الغربية التي تعبر عن التناقضات الكبيرة لديهم.

---

(١) المرجع السابق: ٩٨.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ٩٥ – ٩٧.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ١٩٦.

(٤) المرجع السابق: ١٩٦ – ١٩٧.

المبحث السادس: الحبكة الفنية، وخصوصية الرواية الإسلامية:

الحبك في اللغة " الشدّ والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب " [1].

أما في الاصطلاح فالحبكة هي " عملية اختيار وتقديم وتأخير للحوادث، فالقاص يختار الحوادث الصالحة، ويضع هذه قبل تلك، وتلك قبل هذه، بحيث يجيء السياق والتتابع موفياً بالغرض المقصود. ولو خلت القصة من الحبكة لم تعد قصة فنية " [2].

والصلة تبدو وثيقة بين معنى الحبك في اللغة ومصطلح الحبكة الفنية الذي يشير " إلى تخطيط أو حبك شيء على نحو مقصود ومخطط، وهو ما يفعله القاص: فهو يحبك خيوط العمل القصصي؛ ليوصل القارئ إلى نتيجة ما " [3].

ووجود الحبكة في القصة هو الذي يفرق بين القصة الفنية والقصة غير الفنية، لأن الأحداث موجودة في حكايات الجدات، وأحاديث الناس اليومية، وفيما يتناقلونه من أخبار، ولكن في القصة الفنية تجري الأحداث وفق خطة محددة يرسمها القاص، ويعمل على الربط بين أحداثها المتفرقة، من خلال التأكيد على مبدأ السببية، " ففارق كبير بين أن تقع هذه الأحداث بسبب تلك الأحداث الأخرى، وأن تقع عقب غيرها " [4].

وللحبكة الفنية عناصر تعمل على ربط أحداث الرواية، منها: البداية، ووسائل التشويق، والصراع (التدافع)، والتوقيت والإيقاع، والعقدة، والحل.

وفي هذا المبحث سيتم تناول بعض عناصر الحبكة الفنية التي كان لها خصوصية من حيث التصور الإسلامي للخالق تعالى والكون والإنسان، وهي: الصراع (التدافع)، والعقدة، والحل.

ومن خلال الوقوف عند هذه العناصر في رواية (مهما غلا الثمن) – بوصفها رواية إسلامية – يتضح تميز المعالجة الفنية لها عن الروايات الأخرى . ومن هنا أرى أن هذا التميز أو هذه الخصوصية، تمثل قضية جديرة بالعناية والاهتمام، وربما أسهمت في قيام

---

(١) القاموس المحيط: الفيروز آبادي: مادة (ح ب ك).

(٢) دراسات في القصة العربية الحديثة: د. محمد زغلول سلام: ١٣، منشأة المعارف – الإسكندرية، (١٩٨٧م).

(٣) النقد التطبيقي التحليلي: د. عدنان خالد عبد الله: ٧٦، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ط١ (١٩٨٦م).

(٤) فن الشعر: أرسطو طاليس، ترجمة: عبد الرحمن بدوي: ٣٠، مكتبة النهضة المصرية – مصر، (د–ت).

رواية إسلامية متميزة عن غيرها ليس في المضامين التي تطرحها فحسب، بل – أيضاً – في المعالجة الفنية.

وهذا الطرح يناقض الرأي الشائع الذي يرى أن خصوصية الرواية الإسلامية تتمثل في سمو المضمون الذي تطرحه، بينما المعالجة الفنية لا تختلف فيها الرواية الإسلامية عن غيرها من الروايات، ولكن من خلال قراءاتي المتواضعة للنتاج الروائي بمختلف اتجاهاته وبيئاته، ووقوفي عن كثب على كثير من القراءات النقدية له، أزعم أنه لا بد من وجود بعض الاختلاف بين المعالجة الفنية للرواية الإسلامية وغيرها من الروايات. وأرى أن عبارة (حيادية الفن) ينقضها واقع بعض الروايات الإسلامية التي وعت أثر الإسلام في النظر إلى كل جوانب الحياة، ومنها الأدب.

ورواية (مهما غلا الثمن) تعدّ أنموذجا لهذا الاختلاف والتميز، إذ جسّدت تجسيداً عملياً هذه الخصوصية، من خلال جوانب عدة، ومنها ما هو متصل ببعض عناصر الحبكة الفنية، مثل: الصراع (التدافع)، والعقدة، والحل.

وفي هذا المبحث سأقف عند تميز هذه العناصر في الرواية الإسلامية، من خلال نجاح رواية (مهما غلا الثمن) في توظيفها لنشر القيم الإسلامية، والتعبير عن الرؤية الإسلامية الصحيحة.

١ – الصراع (التدافع):

الصراع عنصر مهم من عناصر الحبكة الفنية في الرواية. والصراع "ينمو من تفاعل قوى متعارضة (أفكار ومصالح وإرادات) في حبكة، ويمكن القول: إن الصراع هو المادة التي تبنى منها الحبكة "[١]. ولا يمكن وجود رواية ناجحة تخلو من أي شكل من أشكال الصراع [٢].

وللصراع الروائي أشكال متعددة، منها: الصراع الذي ينشأ داخل الشخصية الروائية، والصراع بين الشخصيات المختلفة، والصراع الحضاري، والصراع بين التيارات الفكرية المختلفة، والصراع بين الأمم والشعوب.

---

(١) معجم المصطلحات الأدبية: إبراهيم فتحي: ٢٢٢، التعاضدية العمالية – تونس، ط١ (١٩٨٦م).

(٢) ينظر: فن كتابة الرواية: ديان دوات فاير: ترجمة د. عبد الستار جواد: ١٥، دار الشؤون الثقافية – بغداد، ط١ (١٩٨٨م).

والصراع في رواية (مهما غلا الثمن) كان محوره الصراع بين الحق والباطل، بين الخير والشر، حتى وإن بدا في الظاهر صراعاً نفسياً، أو صراعًا بين الشخصيات الروائية.

ومن صور الصراع النفسي الذي صورته الرواية ذلك الصراع الذي عاشته (نور حياتي) عندما وجدت النقود في ثوب صاحب المنزل الذي تعمل فيه، وكانت في أشد الحاجة إلى ذلك المال. عاشت في تلك الليلة صراعاً نفسياً حادًا، وتنازعتها رغبتان: الأولى: إخفاء المال، والثانية: إعادته إلى أصحابه، وقد رصدت الرواية حالتها النفسية تلك رصدًا دقيقًا، وعبرت عن الصراع الرهيب الذي مرت به، ولكنها تذكرت كلمات والدتها، وحتى عندما شرعت في قراءة القرآن الكريم كما كانت تفعل في كل ليلة، شعرت أن كل آية توبخها وتزجرها وتحذرها من السرقة، فقررت أن تعيد المال إلى أصحابه. وبهذا انتصر جانب الخير على جانب الشر [1].

أما الصراع بين الشخصيات فمثّله الصراع الذي نشأ بين مدير المستودعات ووكيله من جانب، وبطل الرواية (أندي) من جانب آخر، وهو في حقيقته لم يكن صراعاً بين شخصيات حول موقف معين، بل كان صراعاً بين الحق الباطل، إذ إن سبب الخلاف بينهما يرجع إلى قيام (سودرمان) بإحراق المستودعات، ومحاولته إلصاق التهمة ب (أندي)، الذي وقف في طريق تحقيقه المقترحات الشريرة التي طرحها على السيد (غزالي)، والمتمثلة في إحراق عشش الفقراء؛ لدفعهم إلى مغادرتها، ومن ثم يقوم السيد (غزالي) بشراء الأراضي بثمن بخس، ويضمها إلى أراضي شركته [2].

إن اختلاف (أندي) مع (سودرمان) لا يرجع إلى وجود خلاف شخصي بينهما، بل كان مرده محاربة الأفكار الشيطانية الشريرة التي كان يحملها (سودرمان) ووكليه (أغوس)، و (أندي) – أيضاً – لم يكن يحمل أي حقد أو ضغينة على (سودرمان)، فقد ذهب إليه، وطلب منه فتح صفحة جديدة، على الرغم من الضرر الذي لحق به بسببه [3].

إنّ الصراع في الرواية لم يكن الهدف منه مجرد تحقيق نصر شخصي على الطرف الآخر، إذ تجاوز أن يكون صراعاً دنيوياً خالصاً. وحتى الصراع النفسي الداخلي في الرواية

---

(١) ينظر: مهما غلا الثمن: ٨٥ – ٨٨.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ١٥٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ٢١١.

كان في حقيقته صراعاً بين الخير والشر، ورفع من قيمته في الرواية حضور آيات القرآن الكريم التي أعانت (نور حياتي) على تجاوز مغريات الحياة، ونهتها عن السرقة.

امتاز الصراع في الرواية بأنه صراع بين الحق والباطل، ولم يكن صراعاً طبقياً، أو صراعاً مع القدر، فالمسلم عرف خالقه، وآمن بقضائه وقدره. وهو- أيضاً - لم يكن مقصوداً لذاته، وإنما كان نتيجة ظروف مؤقتة، وبزوالها ينتهي الصراع.

وهكذا وظفت الرواية عنصر الصراع في نشر القيم الإسلامية، من خلال الحث على تصفية النفوس من الأحقاد والضغائن، والتجاوز عمّا قد يصدر عن الآخرين من زلات، والدعوة إلى تقوية النفوس أمام مغريات الحياة، والتذكير بأن الصلاة وقراءة القرآن الكريم تعينان المسلم على نفسه.

ومن جانب آخر أبرزت الرواية اختلاف الرؤية الإسلامية لعنصر الصراع الروائي عن غيرها من الرؤى، من حيث الدافع إلى وجوده وحدته، وقوى الصراع المختلفة.

٢ - العقدة:

هي " اللحظة التي تصل فيها الحبكة إلى أقصى درجات التكثيف والانفعال، وهي نقطة التحول في القصة، وتعتبر كبداية لتمهيد الحل " [١].

وفي رواية (مهما غلا الثمن) يوجد أكثر من مرحلة أو موقف أو نقطة، كانت تمثل أزمة تعرض لها بطل الرواية (أندي) أو أحد أفراد أسرته، ومنها:

أ- زجه في السجن في بداية الرواية، بتهمة حرق مستودعات الشركة التي يعمل فيها [٢].

ب - سفر (نور حياتي) إلى السعودية للعمل خادمة هناك، وهي الفتاة التي كان يرغب في الزواج منها، وأرسلت له عرضاً للعمل هناك سائقاً، وهذا الحادث مثل أزمة حقيقية له، وأصابته الحيرة بين الاستجابة لعرضها و البقاء في بلده وفي الشركة التي يعمل فيها، بعد أن شعر أنّ هناك مستقبلاً مشرقاً ينتظره في الشركة [٣].

ج - الدين الذي على والده، وكاد بسببه يبيع أرضه لسداده، ومن ثم سيتحول للعمل

---

(١) النقد التطبيقي التحليلي : ٧٧.

(٢) ينظر: مهما غلا الثمن: ١٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق : ١٠٧.

أجيراً عند المالك الجديد [1].

د- مرض والده الشديد وحاجته إلى عناية صحية فائقة، ولم يكن يملك المال اللازم لعلاجه [2].

لقد مثلت هذه الأحداث مجتمعة عقدة الرواية وأزمتها، وجاءت موزعة على فصول الرواية منذ بدايتها إلى نهايتها، وشكلت في مجملها رؤية الكاتب، من خلال ردة فعل الشخصيات تجاه تلك المواقف، حيث تمكنت الشخصيات الروائية من تجاوز تلك الأزمات، معتمدة على الله تعالى - أولاً - ثم على القيم الأصيلة التي اتسمت بها، وكان الصبر والإخلاص والأمانة وقوة الإرادة سبيلها إلى النجاح في تجاوز تلك الأزمات، بالإضافة إلى إسهام الشخصيات الثرية الخيرة في مساعدة الآخرين على تجاوز أزماتهم.

وبذلك تكون الرواية قد أبرزت تميز العقدة في الرواية الإسلامية عن غيرها من الروايات، فلم تبدِ الشخصيات الإسلامية أي جزع أو ضجر، ولم تتعرض للأمراض النفسية، ولم تتجه إلى الحلول المحرمة، والأساليب الملتوية، ولم تعترض على قضاء الله تعالى وقدره، بل سلّمت أمرها لله وتوكلت عليه، لأنها مؤمنة بأن ما أصابها لم يكن ليخطئها، وأنه خير لها، وإن بدا في ظاهره شراً. وانعكس هذا بدوره على أن تبدو مرحلة العقدة أو الأزمة في الرواية الإسلامية أقل عنفًا من الروايات الأخرى.

٣- الحل:

حل العقدة القصصية يعدّ الثمرة والنتيجة الناجمة عن تدفق الأحداث، وفيه يُقدّم الروائي المصير الذي آلت إليه الشخصيات الروائية، وهو " القسم الأخير من الحبكة. والخاتمة تسجل حصيلة الصراع (الفكري أو العاطفي أو الديني) الذي أظهرته الشخوص، وحالة الإدراك أو الوعي الذي تصل إليه الشخصية، بغض النظر عن عمق ذلك الإدراك أو مدى دوامه أو استمراره... " [3].

والرواية يمكن أن تنتهي بنهاية سعيدة أو حزينة (مأساوية). وفي النهاية السعيدة تزول " العراقيل التي تعوق الوصول إلى الهدف الرئيس، وعندئذٍ تظل في حاجة لرؤية

---

(١) ينظر: المرجع السابق: ٥٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق : ١٧٨.

(٣) النقد التطبيقي التحليلي : ٧٧.

كيف يتم ذلك في الواقع ؟ "[1]. أما في النهاية الحزينة فيكون الفشل والإخفاق مرافقين للشخصيات الروائية، وربما انتهت الرواية بحدوث كارثة أو مأساة حقيقية.

وحل العقدة الروائية في رواية (مهما غلا الثمن) كان سعيداً، إذ نجحت الشخصيات الخيّرة في تجاوز ما اعترضها من مشكلات وأزمات، فخرجت منها منتصرة راضية قانعة. حقق (أندي) النجاح في مجال عمله، وأصبح موظفاً مهماً في مكتب مدير الشركة، بعد أن كان مجرد موظف صغير فيها. وفي مجال أسرته تمكن من إقامة أسرة صغيرة قوامها المودة والرحمة، بعد نجاحه في التغلب على رغبته السابقة في الزواج بالفتاة التي كان يحب. فحياته لم تتوقف لمجرد فشله في الزواج بمن أحب. وتمكنت والدته (إيبو فضيلة) من تسديد دين زوجها، بعد ثلاث سنوات من العمل في منزل السيد (زين العارفين)، فحافظت على مزرعة الأسرة ومنزلها من الضياع، وقامت بافتتاح مطعم صغير في قريتها، عملت فيه مع زوجها الحاج (مأمون) [2].

أما نهاية الشخصيات الشريرة في الرواية فتشعر القارئ بالارتياح للمصير الذي آلت إليه، فقد تم سجن مدير المستودعات (سودرمان) بعد أن تم الكشف عن صلته بحريق المستودعات [3].

كان الحل في الرواية متفقاً مع التصور الإسلامي المتمثل في حتمية انتصار الحق وأهله على الباطل وأتباعه، لأنّ ذلك سنة من سنن الله تعالى الذي قال: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]. وهذا ما تحقق في الرواية، حيث نجحت الشخصيات الخيرة في تحقيق النجاح في مساعيها، ونال الأشرار جزاء ما قدّمت أيديهم.

وهذه الرؤية الإسلامية المتميزة لحل العقدة القصصية في الرواية من أوجه الاختلاف بين الحبكة الفنية في الرواية الإسلامية وغيرها من الروايات . ومن ناحية أخرى وظف الكاتب الحل في تقديم رؤية إسلامية متفائلة، قوامها نجاح الخير وأهله واندحار الشر وأتباعه، وهذا يسهم في بث التفاؤل في النفوس، ويدعو في الوقت نفسه إلى الصبر

---

(١) الأدب وفنونه: د. عز الدين إسماعيل: ١١٦، دار الفكر العربي – القاهرة. (د – ت).

(٢) ينظر: مهما غلا الثمن: ٢٣١ – ٢٣٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ٢١٨ – ٢١٩.

والعمل والكفاح للوصول إلى النهاية السعيدة، وتحقيق الطموحات، وإن لم تتحقق في الدنيا، فالمؤمن الصابر ينتظره في الآخرة ثواب الله تعالى.

* * *

المبحث السابع: الانطباع العام:

إنّ المقياس الحقيقي لأي عمل أدبي يتمثل في ذلك الأثر الذي يتركه فينا عند الفراغ من قراءته، وما يبعث فينا من مشاعر سامية نبيلة، تعمق فهمنا للحياة، وتسمو بالإنسان، وذلك لا يتحقق إلا من خلال الاحتفاء بالشكل والمضمون على حدٍّ سواء، إذ يحرص الأديب على تقديم المضامين السامية بصورة فنية جمالية تُراعي قيم الفن وقواعده، وهذا ما عملت رواية (مهما غلا الثمن) على تحقيقه.

والكاتب في رواية (مهما غلا الثمن) شاهد الحياة وفق الصورة التي قدمها في روايته، أو يريد أن تكون. وأرى أن هذا حق مشروع، بل أرى أنها نظرة مطلوبة تسهم في إضاءة شمعة في النفوس، وتزيل بعض التراكمات التي يحملها إنسان هذا العصر. والتي جسدتها بوضوح روايتنا الحديثة، بحجة تحقيق الواقعية في الأدب، وبسبب طغيان النزعة المادية وسيطرتها على النفوس، حيث اعتاد قارئ الروايات الحديثة شيوع النظرة السوداوية على أحداثها، وفشل الشخصيات في تحقيق آمالها المشروعة في البحث عن حياة أفضل، فكانت نهاية جل تلك الروايات معبرة عن معاني الفشل والهزيمة والاندحار، وغيرها من المعاني التي تؤدي إلى الإحباط. وهذا النظرة التي اعتادها النقاد والقراء هي التي قد تدعو إلى الاستغراب بعض الشيء من الرؤية التي قدمتها الرواية، حيث نجحت الشخصيات الخيّرة السوية في تحقيق كثير من آمالها وطموحاتها المشروعة في الحياة، وتمكنت من رؤية ثمرة تمسكها بالقيم الأصيلة ماثلة أمامها بصورة سريعة، وفي المقابل أخفقت الشخصيات الشريرة في تحقيق مآربها غير المشروعة.

والرواية قدّمت شخصيات روائية مثالية جاذبة نجحت في التعامل مع المشكلات والمواقف التي تعرضت لها، من خلال المواجهة الحاسمة مع تلك المواقف المختلفة، مع محافظتها على القيم الأصيلة التي كانت المحرك الأول للشخصية في جميع تحركاتها. وأرى أن تقديم مثل هذه الشخصيات الروائية المثالية ينال رضا القراء، ويسهم في غرس فكرة أن الالتزام بالقيم الأصيلة لا يعوق الإنسان عن تحقيق النجاح في الحياة، ويزرع الأمل في النفوس في إمكانية تجاوز المحن، ومن جهة أخرى تستفز القراء لمحاكاتها في الواقع، لأنها تعدّ أنموذجاً مثالياً للإنسان المسلم.

بذلك تكون الرواية قد قدّمت وجهاً للمجتمع مختلفاً عن وجوه المجتمع التي سادت في كثير من نماذج الرواية العربية، وأكدت إمكانية انتصار الخير وأهله، فجذوة الخير قد تضعف أو تخبو في مرحلة من المراحل، لكنها لا تنطفئ أو تندثر.

إن الاتجاه إلى توظيف الفن الروائي في نشر التفاؤل في النفوس يكون بمثابة التعويض عما يجده القارئ في واقع الحياة، فالرواية تقول: إن الحياة يمكن أن تكون أفضل في حال التزامنا الصحيح بعقيدتنا، وتمسكنا بالقيم الأصيلة في تعاملاتنا مع الآخرين. وفي هذا المقام يمكن طرح بعض التساؤلات. مثل: ألا يمكن أن تتحقق تلك الحياة التي صحبناها عبر صفحات الرواية في واقع الحياة التي نعيشها ؟ وهل يمكن أن يرى الإنسان ثمرة التمسك بالقيم الأصيلة والأخلاق السامية المستمدة من العقيدة الإسلامية تتحقق بصورة سريعة كما جاء في الرواية ؟

إن الإجابة عن مثل هذه التساؤلات نجدها ماثلة فيما قدمته الرواية من توجيهات مباشرة وغير مباشرة، حيث عملت على تقديم صور عملية لحياة الأسرة المسلمة داخل مجتمعها، فبدت حركتها نابعة من التصورات الإسلامية السامية التي تعلي من قيمة الإنسان في الدنيا والآخرة،وتربطه بخالقه تعالى. وقد لمست النماذج البشرية السوية التي قدّمتها الرواية ثمار تمسكها بالقيم الأصيلة، من خلال رفضها الخضوع للواقع السلبي المحيط بها، بل عملت على تغييره، ونجحت في ذلك، كلٌّ بحسب طاقاته وإمكاناته.

وقد جاءت العبارة الأخيرة في الرواية على لسان بطل الرواية (أندي) معبرة عن المعنى العام للرواية، حيث قال: " إنّ من الضروري أن نواجه مشكلات الحياة، ونعمل على تغيير واقعنا إلى الأفضل، لأننا لن نحيا إلا مرة واحدة، مرة واحدة فقط !! ويجب أن نفلح في هذه المرة الواحدة مهما غلا الثمن " [1].

نجحت الرواية في بث انطباع جميل سامٍ، صحب القارئ أثناء قراءة الرواية، وعاش معه حتى بعد الفراغ من قراءتها، وهذا الانطباع هو الثمرة الحقيقية التي ننشدها من قراءة الفن الروائي بخاصة، والأدب بعامة.

---

(١) مهما غلا الثمن: ٢٣٤.

الخاتمة:

عملت هذه الدراسة على أن تضع بين يدي القارئ أنموذجاً عملياً لتوظيف الفن الروائي في نشر القيم والمعتقدات الإسلامية. ووقفت عند الإمكانات الفذة التي تمتلكها الرواية في حمل المضامين وإيصال الرسائل. وكانت رواية (مهما غلا الثمن) هي ذلك الأنموذج، إذ سعت إلى توظيف عناصرها الموضوعية والفنية في نشر المعتقدات الإسلامية الأصيلة، وفي تقديم صور مختلفة للأسرة المسلمة وللمرأة المسلمة عمّا شاع في الرواية العربية الحديثة.

وحرصت الرواية على تقديم المضامين السامية الهادفة مع محافظتها على المستوى الفني المطلوب في الفن الروائي. ويحسب لها ابتعادها عن الاستعانة بأساليب التشويق المبتذلة الرخيصة الشائعة في كثير من الروايات الحديثة، فجاءت الرواية خاليه من تجسيد مواقف الجنس والرذيلة. وهذا يجعلنا نقدم هذه الرواية ومثيلاتها إلى القراء بكل اطمئنان، وبخاصة إذا علمنا أن فئة الشباب هم أكثر فئات المجتمع إقبالاً على قراءة هذا الفن.

وأكدت الدراسة أهمية الاستعانة بكل الوسائل الممكنة، ومنها الرواية، لنشر المعتقدات الإسلامية، ومحاربة الأفكار الفاسدة، ونقد جوانب القصور في المجتمعات الإسلامية، فإذا كان أصحاب الاتجاهات المنحرفة قد اتخذوا من الرواية وسيلة لنشر أفكارهم ومعتقداتهم الهدّامة، فإنه لا ينبغي للكتاب المسلمين أن يتركوا الساحة لهؤلاء، وعليهم أن يعملوا على تقديم البديل الصالح النافع، وهذا ما سعى إليه الدكتور (عبد الله العريني) من خلال شروعه في إصدار مجموعة من الروايات الإسلامية، ومنها الرواية التي اتخذتْ منها هذه الدراسة موضوعاً لها.

وتوصي الدراسة باستشعار أهمية الفن الروائي في نشر القيم والمعتقدات ومحاربة الأفكار الضالة المنحرفة، وتدعو إلى دعم الأدباء والكتاب المسلمين، وحثهم على الاتجاه إلى الفن الروائي، ونشر الصالح منه.

وفي الختام أسأل الله التوفيق والسداد، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

المصادر والمراجع:

١- آفاق الأدب الإسلامي:د. نجيب الكيلاني. مؤسسة الرسالة -بيروت، ط ١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).

٢- الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية: د. عبد الله العريني. من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، ط ١. (١٤٠٩هـ).

٣ - اتجاهات الرواية العربية المعاصرة:د. السعيد الورقي. دار المعرفة الجامعية - مصر.(١٩٩٨م).

٤- الأدب الإسلامي (إنسانيته وعالميته): د. عدنان النحوي. دار النحوي - الرياض، ط ١ (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

٥ - الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث والواقع: جودت السعد . المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط ١ (١٩٨١م).

٦- الأدب وفنونه: د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي - القاهرة. (د - ت).

٧- إعداد المرأة المسلمة: د. السيد محمد علي نمر. الدار السعودية - المملكة العربية السعودية. ط ٢ (١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م).

٨- بان الصبح (رواية): عبد الحميد بن هدوقة. دار الآداب - بيروت. ط ٣ (١٩٩١م).

٩ - بيروت ٧٥ (رواية): غادة السمان. منشورات غادة السمان. ط ٥. (١٩٨٧م).

١٠ - تجربة الكتابة: س. ر. مارتين. ترجمة: تحرير السماوي. دار الكلمة - بيروت،ط٢ (١٩٨٣م).

١١- تنظيم الإسلام للمجتمع: محمد أبو زهرة . دار الفكر العربي - القاهرة.

١٢- الجزيرة (جريدة)، الأربعاء ٥ من محرم ١٤٢٥هـ. العدد (١١٤٧٢).

١٣ - الجنس في أدب غادة السمان: د. وفيق غريزي. دار الطليعة - بيروت. ط ٢(٢٠٠٠م).

١٤ - الجنس والواقعية في القصة: فتحي الأبياري. الدار القومية - مصر. (د - ط).

١٥ - الخندق الغميق (رواية): سهيل إدريس. دار الآداب -بيروت. ط ٣ (١٩٧٧م).

١٦- دراسات في علم اجتماع الأدب: د. أمل حركة. دار المعرفة - الإسكندرية. (١٩٩٣م).

١٧ - دراسات في القصة العربية الحديثة:د. محمد زغلول سلام. منشأة المعارف - الإسكندرية. (١٩٨٧م).

١٨- دراسات نقدية في الأدب المعاصر / مصطفى السحرتي. الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة. (١٩٧٩م).
١٩ - دفء الليالي الشاتية (رواية): د. عبد الله العريني. دار إشبيليا - الرياض. ط ١ (١٤٢٠هـ).
٢٠ - صورة الشخصية الإسلامية في الرواية العربية المعاصرة في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري: دراسة نقدية: علي بن محمد الحمود.(رسالة ماجستير قُدمت إلى قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي في كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤١٧هـ).
٢١ - الفلاح (رواية): عبد الرحمن الشرقاوي. عالم الكتب - القاهرة. (د - ت).
٢٢ - فن الشعر: أرسطو طاليس. ترجمة: عبد الرحمن بدوي. مكتبة النهضة المصرية - مصر. (د-ت).
٢٣- فن القصة: د. محمد يوسف نجم. دار الثقافة - بيروت. (د - ت).
٢٤ -فن كتابة الرواية: ديان دوات فاير: ترجمة د. عبد الستار جواد . دار الشؤون الثقافية - بغداد. ط١ (١٩٨٨م).
٢٥ - في الأدب الصهيوني: غسان كنفاني. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. ط٢ (١٩٧٨م).
٢٦ - في نظرية الرواية: د. عبد الملك مرتاض. سلسلة عالم المعرفة - الكويت. شعبان (١٤١٩هـ).
٢٧ - القاموس المحيط: الفيروز آبادي. دار الكتاب العربي .
٢٨- مثل كل الأشياء الرائعة (رواية): د. عبد الله العريني . دار كنوز إشبيليا - الرياض. ط ١ (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).
٢٨ - المجتمع (مجلة). العدد (١٥١٥) ١٦ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ / ٢٤ / ٨ / ٢٠٠٢م. والعدد (١٥١٢). ٢٤(جمادى الأولى ١٤٢٣هـ / ٣ / ٨ / ٢٠٠٢م).
٣٠ - مذاهب الأدب الغربي (رؤية إسلامية): د. عبد الباسط بدر. شركة الشعاع - الكويت. (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ /)
٣١ - المعجم الأدبي: جبور عبد النور . دار العالم للملايين - بيروت. ط ٢ (١٩٨٤م).
٣٢ - معجم المصطلحات الأدبية: إبراهيم فتحي. التعاضدية العمالية - تونس. ط ١(١٩٨٦م).

٣٣- مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي: د. عبد الباسط بدر، دار المنارة - جدة، ط ١ (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
٣٤ - مهما غلا الثمن (رواية): د. عبد الله العريني، دار إشبيليا - الرياض، ط ١، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
٣٥ - الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان - بيروت، (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
٣٦ - نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد: د. عبد الرحمن رأفت الباشا، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
٣٧ - النقد التطبيقي التحليلي: د. عدنان خالد عبد الله: ٧٦،دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ط ١ (١٩٨٦م).
٣٨ - نهاية الأمس (رواية): عبد الحميد بن هدوقة، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للطباعة والنشر - تونس، ط ٢ (١٩٨٧م).

* * *